

د. محمد خالد توفيق

ساقاري

أيام الكونغو

روايات مصرية

سافاري

taha

مغامرات طلبيب شاب
يجاهد لكن يظل حيّا
ولكن يظل طلبيبا

مصنف مصرى مائة فى المائة لا تشوبه
شيبة الترجمة أو الاقتباس أو النقل عن
أيّة شخص أوروبية .

www.facebook.com/groups/ma7ara

إشراف

الأستاذ / حمدي مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
سواء النشر الورقى أو الإلكترونى .
وكل اقتباس أو تقليل أو إعادة طبع
أو نشر ورقى أو إلكترونى دون
الحصول على تصريح كتابى من
الناشر ، يعرض المرتكب للمساءلة
القانونية .

روايات مصرية

سافاري

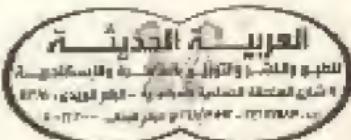
52

مغامرات طبيب شاب
يجاهد لكن يظل حيّا
ولكن يظل طبيباً

أيام الكونغو

يُقْلِم : د. أحمد خالد توفيق

الغلاف برؤية : أ. أيمن القاضي



مقدمة

اسمه (علاء عبد العظيم) ... طبيب مصرى شاب يجاهد - كما يقول الغلاف - كى يبقى حياً ويبقى طبيباً ..

وحدة (سافارى) هي البطل الحقيقى لهذه القصص ، و (سافارى) مصطلح غربى معناه (صيد الوحش فى أدغال أفريقيا) وهو محرف عن لفظة (سفريه) العربية ..

لاحظت أن أكثر الأصدقاء يضيفون حرف ألف بين الراء والياء لتحول الكلمة إلى (سافارى) .. لا أعرف في الحقيقة سبب هذا الخطأ ، لكنه خطأ شائع شبيه بتلك الألف الشيطانية التي يكتبها الجميع بعد (و او) ليست (و او جماعة) على غرار (أرجوا الهدوء) . ولو كنت ترحب في معرفة النطق الغربى للفظة (سافارى) فلتتخيل أنها (صفرى) بفتح الصاد والفاء ..

وحدة (سافارى) التي نتكلم عنها هنا لا تصطاد الوحش ولكنها تصطاد المرض في القارة السوداء ، وسط اضطرابات سياسية لا تنتهي وأهال منشiken وبيئة لا ترحم ..

الوحدة دولية لكن بطلكم الفقير المعترف بالعجز والتقصير شاب

مصري عادى جداً ، فقد وجد كثيراً من عوامل الطرد في وطنه فانطلق
يبحث عن فرصة في القارة السوداء .. انطلق يبحث عن ذاته ..
هناك وجد التقدير .. وجد المغامرة .. وجد الحب .. الطبيبة
الكلدية الرقيقة (برنادت جونز) التي صارت زوجته .. ثم هناك
ال فهو سات القاتلة والقبائل المعادية والمرتزقة الذين لا يمزحون ،
والعلماء المخايبيل وسار في الأعضاء ..

هناك - كما قلنا - من العسير أن تجمع بين شيئين : أن تظل حيّا
ونظل طيبين .. لكنك تحاول .. في كل يوم تحاول ..

هذه المحاولات هي ما أجمعه لكم وأقصه لكم في شكل
قصص .. وقصصي هي خليط عجيب من الطب والعنایفیزیقا والرعب
والعواطف والسياسة .. لا أعرف إن كان هناك مجنون آخر قد
جرب أن يصب هذا الخليط في كنوس ويقدمها لكم ، لكنني لم ألق هذا
المجنون بعد إلا في مرآتي ..

تعالوا نبدأ وسنفهم كل شيء ..

القصة تبدأ من نهايتها

شهادة آلان فرانسون

(عامل الاتصالات)

هل ترى في لفافة تبغ لو سمحت؟ معدنة فانا مرتبك .. يدى ترتجف .. لكن لا .. سأطفيها حتى لا أحرق ثيابى .. أعرف أنتى
اعطىك انطباعاً غاية في السلبية عن حالي العقلية ..

ماذا كنت أقول؟

عندما تسمع صوت السلاح الناري ، فمن العسير أن تصدق أنه يحدث كل هذا الضجيج . لا شك أن السينما تقدم لك صوتاً زائفًا لا يمت للحقيقة بصلة بلغت كفاءة سماعات الدولبي .

الملاحظة الأخرى هي أن الأمر كله لا يبدو حقيقياً ... لا تصدق أن هذه الضوضاء يمكن أن تجرد إنساناً من حياته .

لكن كل هذا حقيقي .. هذا ليس كابوساً ..

أنا موظف اتصالات بالطبع كما تعرف .. أقضى معظم يومي مع زميلي رانكلين وساعة اللاسلكي على أذينينا . مع تلك الراحلة الباردة المميزة لأجهزة الاتصالات ..

شعرت في البداية بهرج ومرج في ردهة وحدة سافارى . وحدة سافارى 7 من الوحدات حسنة التنظيم ، وهناك إدارة أمنية ممتازة . يصعب أن يخالق هذا النظام المحكم ، لهذا شعرت بشيء غير معتاد .

خرجت من غرفة الاتصالات لأرى ما يشبه قطاع أفيال تركض .. أو وائل بطل العالم في المصارعة في الطريق لداسوه بأقدامهم . وكان من المستحيل أن تسأله أي واحد منهم عن سبب ركضه .

في النهاية لمحت معرضة أسلها (ران) - جارة لي - تركض وقد انتشر شعرها الأسود على ظهرها وفقدت الكاب الخاص بالتمريرض ، ذهورها تحوها أسمالها .

لألات وهي على وشك الإغماء :

ـ « توار حلاً ... دكتور أناقول قد جن ... »

لم ركضت مبتعدة .. سمعت صوت الطلقات .. لكنى بالطبع لا أملك طبرة بهذه الأمور ، ولا أملك رد الفعل الذى يجعلك تتوارى عند سماع الطلقات .. لم أسمع صوت طلقات منذ كنت في الجيش الشعبي المצרי .

لهذا وقفت في بلاهة أراقب ما يحدث ..
كان المشهد مروعا ..

دكتور أنايول المنقف الذي هو مفخرة لقبيلته ومقخرة لكونشاسا كلها كان يعيش في الممر بتؤدة ، وهو يطلق السباب بلغة التينجا .. ومن العلامة أنها اللغة الرسمية للجيش هنا .

كان يعيش في تؤدة وثقة بأنه يملك الوقت كله . أما ما أثار هلعه فهو أنه يحمل بندقية آلية .. بندقية آلية حقيقة محشوة بالرصاص ..

رأبه يستدير نصف دورة . كان هناك أحد رجال الأمن يتحسس مسدسه في الخالية وهو لم يقرر ما يفعله بعد . أطلق أنايول دفعة قصيرة من الرصاص فطار رجل الأمن ليضرب الجدار ويسقط .. ومن حوله يركرة دم ..

ثم واصل الطبيب الأسود مسيرته .. ومن حين لآخر يخرج مسدسا من خاصرته ويطلق رصاصة على السقف ، بأنه ادخر رصاص المسدس للتخييف لا أكثر . فيما بعد عرفت أنه المسدس الذي أطلق به رصاصة بين حاجبي دوسكانيس الضابط القوي .. كان هذا منذ نصف ساعة فقط ..

أطار المشهد صوابين ، فهرعت إلى حجرة الاتصال وتواريت تحت

هنا سمعت من يركل الباب بعنف .. وأدركت أنه دخل الغرفة ..

أطلق الكثير من السباب .. وكان زميلي رانكلين هناك لم يفهم
بعد ما حدث .. كان عند النافذة يبحث عن سبب الضوضاء .. هنا
أطلق الطبيب دفعة من الرصاص ليهشم كل أجهزة السنترال وشاشات
الكمبيوتر ، وتصاعدت سحابة من الدخان في المكان .. اللحظة التالية
رأيت رانكلين يسقط أرضا .. لم يبد كأنه مات .. بدا لي للحظة كأنه
نعمل ..

انتهى الأمر ..

رأيت قدمي د. أنا تول في سروالهما الجينز وأطرافه المعطف . كان
يقف هناك عند المنضدة . مستحيلاً أن أتوارى . مع بدانلى ومؤخرتى
العملاقة ، لابد أن رأسى فقط هو الذي كان مختبئا ..

رب اجعل نهايتنى سريعة غير ألمة ، ولتنسى زوجتى وأطفالى
بسرعة ..

لا تدعهم يتعدىون يا رب .

هنا سمعت من يتكلم بالفرنسية .. كان متوفراً راچف الصوت لكنه
يتكلم في إصرار ..

كان يقول بلكلة فرنسية غريبة توغا :

- « د. أناطول .. أرجوك أن تقى بهذا السلاح ١ »

كان الرجل قد بلغ حالة شديدة من الجنون .. لكن بدا أن الصوت منحه بعض الهدوء . قال فى شيء من التردد :

- « ابتعد عنى يا دكتور عظيم .. لا أحب أن أرى جثتك »

فهمت . الصوت الثانى هو الطبيب المصرى ذى اللحية القصيرة الذى جاءنا من الكاميرون .. اسمه الأول علاء على ما أنكر ..

ماذا يفعله ؟ ليس على هذا القدر من الشجاعة ، وعلى كل حال ليس من الشجاعة أن تواجه رجلا يحمل بندقية آلية .. هناك خط فاصل بقعة بين الشجاعة والبلهة .. دعك من أن أناطول قد أبحر فى نهر بلا عودة .. لن يعود من شلالات الجنون أبداً . ليس أسهل من ضغطة على الزناد ...

لكن صوت الطبيب المصرى عاد يقول وهو يرتجف :

- « أنت لن تقتلنى .. أعرف هذا .. لكنى كذلك أكره أن أرى جثتك

المعزقة »

صرخ أناطور :

- « أنا قد تجاوزت فرصة الخلاص .. أنتهى أمري .. لابد أتنى قلت عشرة على الأقل بعد هذا الكلب .. »

عاد علاء يكرر في الحاح :

- « سوف تحاكم على الأقل .. هلم ناولتني هذا السلاح .. إن لم تفعل فسوف يفرغون بنا ذفهم فيك لمدة ربع ساعة .. لن يبقى منك ما يكفي لعمل قبضة »

- « وهذا هو الحل الوحيد ١ »

ثم سمعت ما يشبه الالتحام الجسدي . لا أقدر على الخروج من مكمني لأرى .. هناك صراع لا شك فيه .. ثم سمعت ضربة قوية بشيء خشبي .. أعتقد أنه دبشك بندقية ..

عاد صوت الطلقات يتتردد لكنى فهمت من يطلق الرصاص خارج الغرفة الآن ..

في حذر أخرجت نفسى .. دماء راتكلين في كل مكان .. لقد مزقه الرصاص تعزيقا .. مقاعد مقلوبة .. آثار أقدام دامية ، ثم رأيت جوار الباب ذلك الطبيب المصري رافقا على وجهه بلا حراك ..

متى حدث هذا ؟

هرعت نحوه وركعت جواره فصرني أنه يتآلم بشدة .. الدم ينزف من رأسه . فحصة بليغة مختصرة .. لقد التهم الرجلان وحاول علاء أن يتزعزع السلاح من يد خصمه ، لكن في تلك المواقف تصقط أرضا على ركبتيك تصير مؤخرة رأسك مناحة لمن يريد أن يهوي بدبشك البندقية .. هذا أفضل من رصاصه في الرأس طبعا . أحيانا يكون الألم الشديد هو الدليلة الوحيدة على الحياة ..

سؤال مهم : لماذا لم يرعب أناتول في قتل المصري ؟

★ ★ ★

ما حدث بعد هذا هو أننى سمعت رجال القوات الخاصة . يبدو أنهم طلبوا الجيش . سمعت تبادل طلقات ..

لسبب جنونى ما خرجت من مكمنى وتواريت وراء رخام الكاونتر فى الردهة ، فرأيت فى نهاية الممر أناتول يحمل بندقيته ويطلق فى السقف فى كل الاتجاهات وهو يصرخ

- « دوسكا ليبينيتش ! ! »

الملائكة يتتساقط والكتشافات تنفجر . وفي النهاية صدر صوت الكلب الاراد . لقد انتهت الحياة من ذلك السلاح اللعين ، فراح يضغط وصوت الانهار يتردد ... ثم أنه ألقى بالبندقية على الأرض وأخرج المسدس .

فإن هذا المزاج كافياً بالنسبة لرجال القوات الخاصة . وفي لحظات أحوال المعركة إلى غاية كثيفة من الدخان والموت ورائحة البارود .. لقد أطلقوا عليه بغزارة وجشع وغل .. انفلات أعصاب تام ..

أخيراً انقضى الدخان وأمكنني أن أرى جثة آناتول المعزقة .. يبدو أنها تحولت لكومة من اللحم المفروم فعلاً . والدخان يتتصاعد من كل ثارب الرصاص .. لقد سقط جوار عربة صغيرة في المعركة مما تحمل عليه المطهرات وأدوات غيار الجروح . قمسكت يده بها فقلبيها .. التاثرات السوانح من حوله فبدا كأنه ينزف مطهرات وليس دما ..

كنت أرتجف من الرعب ، وأنا أرى رجال القوات الخاصة السود يركضون في المعركة وهم في حالة توتر شديدة .. لقد تكون ميتاً لكنهم ما زالوا في وضع تحفز ..

من الغرفة خلفي سمعت صوت أنين ..

استدرت فرأيت علاء الطبيب المصرى على ركبتيه .. كان يتحمس مؤخرة رأسه بيد غرفت فى الدماء ، وأدركت أنه يردد كلاما ما بالعربية ..

أدركت كذلك أنه يبكي بحرقة .. أعتقد أنه فهم ما حدث .. لا أعرف لماذا حدث ما حدث ، لكنني أعتقد أن هذه أفضل النهايات الممكنة . بعد كل من قتلهم أناهول كان لابد أن يموت . موته الآن أفضل من موته بعد المحاكمة الطويلة ..

أعتقد أن الأجانب يطلقون اسمًا على الحوادث المعاشرة .. عندما يقرر موظف أن يطلق الرصاص ليقتل كل زملائه ..

أموك Amok .. وهى لفظة من الملائكة تشير إلى هياج المفيلة الذى يكتسح كل شيء كالإعصار . هم كذلك يطلقون على من يفعل هذا أنه لسبب ما يجن موظفو البريد فى أمريكا ويفرغون رصاص بذقاناتهم فى زملائهم فى العمل .

لأن الآتوں لم يكن موظف يزيد .. كان طيباً يارعاً هادئ الجنان
ما أستطيع قوله يا سيدى ..

أعده أن هذا لو كان فيلمًا سينمائيًا لكان المشهد جديراً بكتابية

(النهاية)

END

FIN

taha

شهادة كيشا ليونيل

(معرضة في وحدة سافاري)

أطفالى الخمسة فى البيت فى كينشاسا تعنى بهم أمى العجوز .

أعتقد أن على أن أصرف يا سيدى ، فهى لن تستطيع مع سنها المتقدمة أن تعنى بهم جيدا . إن زوجى سيعود فى الثامنة مساء ، يجب أن أرحل .. لقد انتهت ورديتى فى الثالثة عصرا وكان يجب أن أصرف ..

اسمعى كيشا .. أنا معرضة فى الثامنة والعشرين من العمر وأقيم فى أحد أحياط كينشاسا . حى فقير هو ولا أنكر ذلك .. نحن فقراء يا سيدى .. وبالفعل أنا بدأت أنجب كالأرانب من سن الثامنة عشرة ..

أنا كنت هذك ..

أنت تعرف أن دكتور آناتول طبيب حمييات . هو واحد من أكثرهم كفاءة وبراعة ، كما أنه يتمتع بضمير يقظ فعلا ، لكنك تعرف أنه انقطع عن المعجزة للعمل بسبب الأحداث الأخيرة .

كنت واقفة مع ماري مشرفة التمريض أحدثها عن زوجي وعن مشكلة الأطفال المزمنة ، عندما رأيت الدكتور أناتول قادما .. دخل من الباب الجانبي ، وأقسم أنه نظر لي في وجهي لكنه لم يرني . كان في حالة ذهول تام .

قال شيئاً ما هو أقرب للغمضة .. تقريراً لم يقل شيئاً ..

ثم إنه بصدق على الأرض وغادر الغرفة . تبادلت نظرة مع ماري ، وشعرت بفحة في حلقي . هذا نذير شؤم فيما أرى لأن د. أناتول ينالك روعه ، وليس من الطراز الذي يصدق عندما يغتصب .

الجهت للنافذة المفتوحة التي تطل على حديقة وحدة سافاري لأرى ما يفعله .

كان قد خرج من البناءة ومشى بضع خطوات ... هناك كان رجل الأمن فراتز يقف مع جندي من الجيش . إن الجنود في كل مكان من كولشاسا هذه الأيام ..

كانا يتكلمان ويدخنان .. كل الرجال يدخنون معاً كأنهم نداماء يحسون الخمر .. لم يلاحظا أي شيء مما يدور حولهما ، ورجل

الأمن يستد إلى جذع شجرة بينما الجندي قد أراح بندقيته الآلية إلى الجدار .

رأيت د. أناطول يمر جوارها . عرفت على الفور ما ينوي عمله كأنى رأيت ذات التفيم من قبيل . إيماعاته كلها قالت لي إنه سيفعل هذا برغم أن هذا مستحيل .

لقد انحني على الأرض وبسرعة البرق التقط البندقية الآلية ...
القوية الرهيبة في كتلة الفولاذ والخشب هذه صارت بين يديه ..
استدار الجندي يحاول استرداد سلاحه . لكن د. أناطول تراجع
للخلف وهو يحاول فك طلاسم هذا السلاح . لا بد أنه كان يعتقد أن
الضغط على الزناد يحل المشكلة .. كلبك كلبك .. لم ينطلق شيء ..

هرع الجندي ليلاقي بيته على أناطول ، لكن هذا الأخير قرر أنه
يمكن استخدام البندقية بطريقة أخرى .. أمسكها من القوحة وهو يها
على صدر الجندي كأنه يبغى تهشيم الضلوع .

بالفعل سمعت صوت الارتطام وتهاوى الرجل على الأرض برغم
ضخامة جسده . أخرج فرانتس سلاحه وصوبه على د. أناطول . اعتد
أنه كان يقول له أشياء مثل :

« اترك السلاح يا دكتور .. لا أريد أن أطلق الرصاص ؟

لكن د. أناطول كان يجري بعض التجارب السريعة على البن دقية ، يشد هذا الجزء أو ذاك .. وأعتقد أنه نجح لأنه جرب الزناد فانطلق وأقبل من الرصاص على رجل الأمن .. وأعتقد أن الدفعه كانت قوية لدرجة أنها ألقت بدكتور أناطول إلى الخلف ليسقط أرضا . لاحظ أنه لا يملك خبرة عسكرية ، ولعنه أول سلاح يمسكه في حياته . أما الشخص الآخر الذي سقط للخلف إلى الأبد فهو فرانس .

أطلقت صرخة وشعرت بأنني ساغفت وعبي ..

سألتني ماري عما هنالك فقلت من موضعى بالذاتية :

ـ « لقد قتله !

ـ « قتل من ؟

ثم قررت أن تلحق بي لترى ما يحدث ..

كان المشهد ملحميا .. د. أناطول قد نهض وأعتقد أنه تعلم شيئاً أو شيئاً عن قوة ارتداد هذا السلاح . بدا أكثر سيطرة وهو يتقدم عبر الحديقة . والتأثير كان دراميا .. لقد راح الناس يتذمرون ليفسحوا له الطريق وهم يصرخون ، وخبأت الأمهات أطفالهم في صدورهن ..

لكته لم يجد راغبًا في قتل واحد من العرضى ..

رأيه يتقدم نحو الجناح البعيد .. وسمعت صرخات عندما اقتحم

الباب ..

هذه المرة درت طلقة قصيرة . وتعالى الصراخ أكثر ..

لقد بدأ الجنون أخيراً ...

صاحت ماري في هستيريا :

- « هذا الجناح يدور ليصل لنا .. سوف يصلنا ويقتلنا »

بداءلى هذا الاحتمال سخيفاً .. أولاً هو سوف يستهلك طلقاته .. ثانياً

لابد أن أحدهم سيقتله قبل أن يعبر كل هذه المسافة .. ثالثاً بوسعنا أن

ننوارى تحت المكاتب أو الأسرة أو ندخل غرفة الأشعة ونغلقها علينا ..

كينشاسا تعج بالجند وسوف يعلنون المكان حالاً ..

الطلقات تتهم وتعالى ..

بصرف النظر عن نجاتنا أو هلاكتنا ، فالامر يشكل ضغطاً عصيّاً

مربيعاً .. فكرة أن هناك من ينفجر منهم الدم ويعوتون الآن فكرة لا

تطاق ..

سألتني ماري في رعب :

ـ « ماذا دهاء ؟ هل جن ؟ »

ياله من سؤال ... كأن المزع يمك أن يسرق بندقية آلة ويقتل بها
 (ملاءه لمجرد أن أعصابه مرهقة . بالطبع قد جن ... لربما هو مدمى
 مخدرات كذلك ...

الطلقات كانت تتهدر بلا توقف ...

وكأنها انفجارات في جدار هدوئنا النفسي ...

ورحت أدعى الله أن ينتهي هذا الكابوس سريعا .. تنتهي حياته أو
 تنتهي الطلقات ...

taha

شهادة كريست جولمى

(صاحب متجر وجارد. أنا تول)

أنا كنت هناك يا سيدى فى شوارع ليوبولدفيل عام 1961 ... رأيت كل شيء .

اسمى كريست جولمى .. حاليًا أعمل فى بيع الفاكهة . ويمكنت ان ترى متجرى هناك .. نست متأكدًا من صدقى بالضبط . لقد تجاوزت الخمسين ، لكن يمكنك طلبًا للدقة أن تجرى أنت الحسابات ...

رأيت السيارة العسكرية تجوب شوارع ليوبولدفيل .. عليها يقف الجنود العدجون بالسلاح . فى الخلفية يجنس ذلك الشاب التحيل المتعفن مرهقة هذه التعذيب والجوع ، وقد أحاط بعنقه حبل غليظ .. الرجل الذى حلم بمستقبل مختلف .. حلم بكونغو تكون ثرواته ملك أهله وليس مصدرًا للثراء بليجيكا .. حلم طويلاً بالاستقلال عن بليجيكا . المحتل الغاشم القاسى .

أنا كنت هناك ..

كنت طفلاً فى العاشرة أركض فى الطرقات منبهراً بالمشهد الدامى الذى وجدته - كعهد الأطفال - مصلينا .

لقد كان (باتريس لومومبا) في حال سينة وقد بدت عليه علامات الوهن وسوء التغذية ، لأن موبوتو أصدر تعليماته بذلك على سبيل التكاية . لم يكن موبوتو هو رئيس البلاد بعد . بل كان تشومبى هو الرئيس ، لكن موبوتو كان نافذ الكلمة .

كان لومومبا قد أمضى أياما في السجن ، ثم طلب السفير البلجيكي نقله إلى كاتانجا . كاتانجا كنز البيراتيوم الأفريقي الذي صنعت منه قنابل أمريكا الذرية ..

كاتانجا هي مركز قوات الجيش التي سيطرت على البلاد وأطاحت بلومومبا .

في المساء عرفنا أنهم اقتحموا إلى بقعة منعزلة خارج السجن حيث وقفت فرقة الإعدام متاهة ، وسرعان ما سقط الرجل التibil وسط دمائه .

تباينت الاتهامات بعدها .. لم يكن موبوتو هو وحده المنسئ .. المخابرات المركزية الأمريكية لعبت دورا مهما ، وكذلك الحكومة البلجيكية .. وعرفنا فيما بعد أن تشومبى حضر الإعدام بنفسه .

لمنع الناس من هواية صنع الأبطال ، تم تذويب الحشائش كلها في

حمض الكيرينيك المركز . لا أحد يريد مقاير شهداء تذكارية تصنع ثورة ..

ثار العالم لخبر مقتل لومومبا وخرجت مظاهرات في معظم البلدان الحرة . وفي عدة بلدان هوجمت السفارات البلجيكية .

أنا كنت هناك أشاهد الموكب في شوارع ليوبولدفيل ..

فيما بعد قيل لي إن لومومبا كان شيوعيًا .. هذا غير صحيح . فقط كان الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت هو الملاجأ الوحيد للفارين من الولايات المتحدة ورغباتها الاستعمارية .. كان من شبه المستحيل أن تكون محاييًا ، لكن هذا ما تجده فيه مصر والهند إلى حد كبير . ومن الجدير بالذكر أن أرملة لومومبا عاشت في مصر بعد ذلك بدعوة من جمال عبد الناصر ، وتلقت معاشًا ثابثًا هي وأسرتها .

الحقيقة أن لومومبا بعد الاستقلال قوبل بثورة هائلة في صدوق الجيش ، نظمتها السلطات البلجيكية .. وقد استعان بالولايات المتحدة والأمم المتحدة طالبًا العون . لكن هذا أدى إلى تسارع العنف ضده .. وانتهى الأمر باعتقاله ووضعه في السجن ..

لم يكن هناك مزاج في الأمر ..

الكونغو بلد غنى جداً ، وهو مصدر هائل للثيورانيوم ما كانت أمريكا الساع بوصول الاتحاد السوفيتي له .

كان على الكونغو أن تتحمل رحيل لومومبا وحكم تشومبي الذي لم يطرد ، وسرعان ما جاء موبوتو ليحكم البلاد حتى العام 1997 ...

طيلة تلك السنوات لم يكن اسم البلاد (كونغو) . موبوتو اختار لها اسم زائف .

بعد موبوتو استعادت البلاد اسم الكونغو على يد الرئيس كابيلا ، لكن ظلت لفظة (الديمقراطية) في الاسم ، وهي علامة سينة .. لأن كل البلدان التي تحمل لفظة (ديمقراطية) في الاسم هي - كقاعدة - بلدان دكتاتورية .

كنت هناك ..

كطفل كنت أتواثب فرحاً بالمشهد العظيم ، لكن أمي التي كانت ذاهبة للسوق ضربتني بين لوحى كتفي لأصمت . وقامت هامسة :

ـ « لن يتركوا الكونغو تقتل منهم أبداً ... »

ولهذا كنا نقرأ في كتب المدرسة عبارة (الكونغو البلجيكية) ونرى على جدران صنوف المدارس صورة ليوبيولد ملك بلجيكا . جاء الاستقلال ، لكنه استقلال شبيه بكل الدول الأفريقية

الأخرى .. التخلص من المستعمر الغربى الذى يحمل بلندية ، ليأتى مستعمر محلى من أهل البلد ، ويتعاون مع الاستعمار الغربى الذى يعود فى صورة احتكارات وشركات واستثمارات ..

★ ★ ★

عام 1966 لم تعد ليوبولدفيل بنفس الاسم .. صار اسمها (كينشاسا) لكن هذا لم يدل على استقلال أفضل . لقد رحلت بلجيكا لتعود من الباب الخلفى ، وما زال هذا هو الكونغو البلجيكى ..

ألا رأيت اعتقال جلوار عام 1969 .. المحامى الشاب الذى يسكن جوارنا مع زوجته . رأيت السيارة يترجل منها الجنود .. لم ينتظروا حتى يرد على الباب أو يفتحه ، بل هشموه بأحد زبائهم الثقلة ، وسرعان ما كانوا يجرونه جراً بينما زوجته تصرخ والطفل (أناندول) يتمسك بقدمه باكيا ..

فى نفس اللحظة تقربياً ركل جندى الطفل ليطير بعيداً ، وصلع أحدهم الأم لتسكت ، وهوى ثالث بدبشك البلندية على مؤخرة رأس جلوار ..

وسرعان ما تم وضع جلوار فى السيارة .. تلقى لكمـة أخرى فى أنفه فأغرق الدم صدره .. ذكرنى منظره على الفور بمنظر لومومبا الذى رأيته منذ ثمانى سنوات ..

سمعنا بين الناس المتعازمين عباره :

- « شيوخ .. شيوخى »

لم يكن جلوار شيوخا .. في ذلك الوقت كان كل من يقف في وجه نظام موبوتو يتهم بالشيوخية ، وأنا أعرف انه كان مؤمناً بمبادئ أومومبا .. عرفنا بقينا أتنا لن نراه ثانية ». هناك اتفاق تحت الأرض يلقيب فيها السجناء فلا يرون الشمس ولا يعودون أبداً أو يراهم أحد ، من يمت منهم بذوب في الحمض أو تلقى جثته للتعاميم . نحن في الكولغو لا تقصتنا الملوحوش سوام كانت أدمية أو غير أدمية .

كان المشهد مروعًا ، ولا شك أنه حفر للأبد في ذهن د. أناتول الذي كان وقتها في الثالثة من عمره . قلت لنفسي إن هذا الصبي لن يكون سوياً .. ما من صبي يرى آباء في وضع كهذا وينسى ..

كان على أن أنتظر كل هذه الأعوام حتى أبرهن على أنني محق ..

لا أعني بهذا أن هذا المشهد جعله ينتقم بإطلاق الرصاص على إماء العمل بعد نيف و40 عاماً . لكنني أعتقد أنه أعد في روحه التربية العادلة للعنف . لم تبق سوى البذرة

من وضع البذرة ؟ بصراحة لا أعرف بقينا ...

شهادة جوسلين

(بائعة وجارة د. أناتول)

اسمحوا لي بالجلوس .. كانت الصدمة قاسية حقاً، وما زلت أشعر بأن ساقني واهنتان .. أنا لم أحضر لحظة إطلاق الرصاص ، لكن يوسعني أن أحكى لك الكثير عن د. أناتول .. لقد عاصرته لفترة طويلة جداً ، بل وأجرف على القول إنني أحببته أغلب حياتي .

أحب هاتين العينين الصادقتين الحسامتين والوجه النبيل .. هذه البشرة السوداء التي لها لون الأرض .

اسمع جوسلين .. أعمل بائعة ثياب في متجر . لا أكسب الكثير من المال كما هو بادي على لكتني كنت قادرة على الحياة . لم أتزوج فقط فاتني قطار الزواج على العموم .

كنت قد حسست أن د. أناتول قد تعافى من الانهيار العصبي الذي أصابه ..

كان قد قضى بضعة أيام في مستشفى مونكول في كينشاسا .. هذا مستشفى ضمن العشرين مستشفى التي بناها موبوتو في كينشاسا لماذا لم يعالج في وحدة سافاري التي يعمل فيها ؟

اعتقد لأنه لا يريد أن يعرفوا أنه أصيب بانهيار عصبي ..

كان يقضى الوقت هناك ينظر للسقف ويحملق في المروحة التي تدور بلا انقطاع . كان يدخن بقظاعة ولا يكف عن إرسال العمال لشراء المزيد من التبغ له برغم أن هذا ممنوع هنا .

من حين لآخر كنت أجلس جواره في الغرفة ، وأقرأ له من الكتاب المقدس . كان ينتمي لديانة سيمون كيمباجو Kimbanguism لم يكن متدينًا لكنه اختار هذه الديانة ، لأن البلجيكيين كانوا يعزمونها . بينما كنت أنا بروتستانتية لكتنا وجدنا أرضية مشتركة تلتلاهم نوعا .

كان قد بدأ يميل إلى الشك . وقال إنه ما دام الشر ينتصر دائمًا والضعفاء يسحقون ، فمن المصعب تخيل وجود إله يقبل هذا .. لكنني كنت له إن العالم الآخر سوف يعوضنا عن هذا كله . لو لم يوجد عالم آخر فلا عدالة ...

لم يكن يصدق .. هذه الألام تنتهي عندما تنتهي ... لا تجدى أى دلائل هنا .

★ ★ ★

كان د. أناتول جاري في ذلك الحي في كينشاسا . نعيش على أطراف

البلاد حيث يفصل نهر الكونغو بيننا وبين الكونغو برازفيل . لقد كبر وكبرت عبر الأعوام ..

أعرف قومه وأعرف أسرته جيداً ...

فيما بعد توفي الجميع فلم يبق سواه يعيش وحيداً في ذلك البيت من طاين واحد . بيت متواضع .. لكنني كنت أعرف أن دخله كطبيب من المكان الذي يعمل فيه ليس مجزياً .. كان هذا المكان يدعى سافاري 7 .. أعتقد أنه من المنظمات الدولية المعروفة . وكان يقضى معظم اليوم هناك .

زيارات ؟ . لم يكن أحد يتربّد عليه سوى بعض أصدقاء الطفولة المحليين ، لكنني اندھشت جداً عندما اعتقد أن يتلقى زيارات من طبيب ملتح يبدو أقرب للعرب في ملامحه . طبيب يمكن أن يكون مصرياً لو كانت فراسني صحيحة .

يجب أن أعرف أن أنا تول لم يكن يعيل لى .. كان يعتبرني جارة طيبة القلب لكنه لم يعتبرني امرأة على الإطلاق ..

بالفعل اختفى أنا تول لفترة ..

لا يمكن أن أحكى التفاصيل حتى لا أتعرض للخطر . يقولون إنه تم

اعتقاله عند الفجر .. لا أعرف التفاصيل .. صحوت من النوم لأسعهم بكلمون عن الغارة الليلية التي قام بها رجال الشرطة على البيت ..

لم أعرف سبب اعتقاله لكن هناك إشاعات . على كل حال يعرف الجميع أن أباه جلوار كان محامياً شيوعاً معارضًا . وقد اعتقل في عصر مويوتوا . في أيام موبوتوا كان معنى الاعتقال أنك تلاشت من على وجه الأرض للأبد . لن تخرج أبداً . ثمة احتمال لا يأس به أنك استخدمت في إطعام التماسين في نهر الكونغو ، فالمحميات لم تكن موجودة وقتها وإلا لأطعمنا به الأسود ..

لا أعتقد أن أناطول كان يملك أي ميول سياسية ولم يكن يهتم بشيء ملارج طب الحمييات .

ما حدث بعد هذا بأيام كان عسير التفسير ..
في الواحدة بعد منتصف الليل سمعت صرراخاً .. هرعت إلى الباب وفتحته فوجدت الناس في الشارع يصرخون ، وقد خرجت النساء من بيوتهن حافيات الأقدام ، بيتما الرجال يحملون دلاء الماء ..

كانت ألسنة اللهب تتصاعد للسماء ، والضوء البرتقالي يترقرق على الوجوه ..

بيت أناطول يحترق ..

الدخان الرمادي يتتصاعد لغافن السماء ، والماء يسيل ليغرق الأرض ..

صاحب البيت ليس موجوداً ليدافع عن بيته أو ممتلكاته الثمينة .. لا أحد يعرف أين يضع مائه أو صور حبيباته أو حل أمه .. ليس هناك من على استعداد أن يقتحم النيران من أجل لا شيء .. في النهاية البيت خالي من البشر ..

هكذا ظل المشهد عدة ساعات .. في النهاية انتهى وحش النيران الغاضب من وجنته وشبع .. قرر أن ينام أخيراً ويغط ..

بالطبع لم تتوصل الشرطة لشيء ..

وساد الحى جو من الكآبة . كل شيء كان رمادياً . ثم انهمرت الأمطار ..

وما لم أعرفه هو أن أناتول كان سيعود بعد يومين ..

★ ★ ★

كان هذا وقت الغروب عندما سمعت الصرخة ..
خرجت من بيتي فوجدت شيئاً منهاكاً يقف بصعوبة وينظر إلى بقايا البيت . كان هذا هو د. أناتول نفسه .. لقد عاد ، ومن الواضح أنه يرى بيته للمرة الأولى منذ احتراقه ..

كان يحسب أنه سيعود ليجد الجدران والذكريات في مكانها ..

كانت عينه متورمة شبه مغلقة وشفتها مشققة كأنما قد نزفت كثيراً،
ومن الواضح أنه فقد سنًا أو سنتين ..

دنوت منه ووضعت يدي على كتفه وقلت :

ـ « لم تستطع عمل شيء يا دكتور .. »

انتفض في عصبية وأبعد يدي عنه ..

ـ « دكتور أنا جوسلين جارتك ! »

لكنه ازداد عصبية .. كان يقول كلاما مختلطًا ثم أفهم كنهه .. كان يرتجف . أملك بعض الخبرة الطبية ويمكنتني أن أؤكد أنه مصاب بانهيار عصبي . سقط على ركبتيه وراح يصرخ بالفرنسية :

ـ « الأوغاد ! ... لقد طفح الكيل ! »

جاء ثلاثة من الجيران وأحاطوا بنا ..

هنا نهض أنا تول ولكم أحدهم ثم ركل الآخر ... إنه سيدنوي نفسه هذا الأحمق . صحت أطالبيهم بأن يمسكوا به ، لكن الهياج جعله يصرخ .. يقاوم ويضرب ..

الكثرة تغلب الشجاعة ، وقد تعاون الجيران على نقيده ، ثم ظهر فرنس بالدرجة البخارية العتيقة ، وتعاون مع أحد الرجال على

وضع الطبيب بينهما لنقله إلى المستشفى . ممثلي مونكول قريب ومتسلب .

كنت أعرف أتنى سأعود هناك مرازا .. ما زلت أحمل له الحب والتقدير .. لن يحبني أبداً لكنه سيظل يضيء في روحي ويعندي الدفء ..

هكذا رحت أزوره هناك وأحاول التخفيف عنه .. الحقيقة أتنى اتخذت دور الزوجة أو الأخت الرءوم معه ، فرحت أجلب له الطعام وأخذ ثيابه لأغسلها ...

ومع الأيام بدا لي أنه يتحسن ، وإن لم يحك لي فقط عما حدث في فترة غيابه ..

عندما خرج شعرت بأن العمل في سافاري سوف يبعد له اتزانه النفسي ..

ثم عرفت أنه أصيب بتوية هياج وقتل دو سكانيش وفتك بعده عاملين في الوحدة . هناك جزء مفقود لا أفهمه ولا أستطيع تفسيره .. د. أناقول بقتل؟ .. مستحيل ..

ترى ماذا حدث؟ ما الذي فعله هناك بالضبط؟ ..
لن أعرف أبداً ...

شهادة د. علاء عبد العظيم (طبيب في وحدة سافاري 7)

لم أكن شجاعاً . أنا قد قضيت وقتاً لا يأس به مع نفسي ، منذ ولدت حتى اليوم . لهذا أدرك جيداً أنني شريف طيب القلب ، لكنني لست شجاعاً ..

لا تدهش من كلامي .. هناك أشخاص - بالمعنى الحرفي - لم يجدوا وقتاً كافياً لجلسوا مع أنفسهم ويعروفوها . من ضمن هؤلاء أولئك الذين يتزوجون في سن مبكرة جداً .. هؤلاء قد لا يعرفون أنفسهم بتاتاً .

أقول إنني لست شجاعاً ..

لستني كنت أحب أناقول بحق ، وكنت أدرك أنه رجل نظيف ذو مثل عليا وأعصاب ملتهبة عارية .. هذا الطراز من الناس ينفجر بسهولة لكن يوسعك أن تحبه بصدق ..

هل لي أن أجلس يا سيدى ؟ أنا مرهق بالفعل ، وأشعر أن هذا كله كابوس طويل .

معذرة لأن لدى سنتين مهشمتين .. هذا يجعل كلامي عسيراً كما
.. تعلم

أنا جئت إلى الكونغو منذ شهرين ونصف .. كانت لي تجربة قاسية نوعاً
في الكاميرون .. وشعرت بأنني أستحق إجازة . وحدة سافارى -7 فى
الكونغو مهمة جداً وهى قلب أفريقيا فعلاً . صحيح أن هناك كما هائلًا
من العمل ، لكن الحياة آمنة على قدر علمى . وأعتقد أنت أحب المديرين
الكونغولى آرثر برسين كثيراً ، فهو رجل مهذب لطيف .. ومساعدته
البلجيكية أن لي رأى لطيفة .

منذ وصلت هنا وأنا أعمل معظم الوقت في قسم الحميات . لسبب ما
لم يتركوني أذهب إلى قسم الجراحة . لا أشعر بأنني على سجيتي إلا
في قسم الجراحة .

صباح اليوم دخلت إلى غبار الملاريا ، فقابلتني المرضة السويدية
(أنجا) وهي شريرة باردة كالثلج شديدة السماحة . أنت تعرف يا سيدى
أن وحدة سافارى شبيهة ببرج باريس يكلم الجميع فيه الفرنسية . قلت
لي بملامحها الثجية إن هناك حالة يشبهه في أنها تزفية ..

هذا خبر خطير .. حمى الكونغو - القرم متواطنة هنا ، وكما يوحى
الاسم فهي موجودة في الكونغو وشبة جزيرة القرم .. أخطر أنواع

الحميات النزفية . يبدو أنه لابد من إبلاغ الإدارة . وهي ستبلغ وزارة الصحة .

من الغريب أن المرضة في ذلك اليوم بالذات طلبت أن تأخذ رأي د. أقانول .. قالت لي إن الرجل بارع في الحميات وبالتأكيد يعرف حمى القرم بسهولة ..

قلت لها وأنا أغلق أزرار المعطف :

« هو في المصحة النفسية .. لا نعرف متى يعود »

اتسعت عيناهما ذاتا اللون القستقى وقالت :

« لقد عاد . شاهدته هنا اليوم »

كان هذا خبراً رائعاً ، زرته مرة واحدة في المصحة منذ احترق بيته . بدا لي كأنما تم تجويفه من الداخل . وتذكرت قصيدة الرجال الجوف لـ س. إلبيوت . هو هيكل خالٍ من المشاعر . يلبس قميصاً أبيض واسع الياقة يكشف عن صدره النحيل ومن الواضح أنه لم يتم كيه منذ أشهر . يمكنك أن ترى صدره الملئ بالخدمات والخدوش .

في تلك الزيارة رأيت جارته السمراء .. أعتقد أن اسمها جوسلين . كانت قد جلبت له بعض الطعام والفاكهـة . يبدو أن قصة حب جديدة تولـد هنا بعد قصة سيرين .

قلت له عندما انفردت به :

- « أعرف أن ما حل بك قاسٍ .. لا أعرف كل التفاصيل المستجدة .
لست لا تفتق إلا إذا أردنا ذلك يا آناتول .. أنت أقوى من هذا .. »

كان يرفض تماما الكلام عن فترة اعتقاله . هذا سلوك اعتدته مع
من يلقون تعذيباً مهيناً يذهب بالعقل . يتم تسويد هذه الحقبة من ذاكرتك
 تماماً أو لو لم يتم تسويدها يرفض العريض الكلام عنها .

قلت له ما قاله عبد الهادي لأبي سويف في الأرض :

- « لم تكن تلك شجاعة منمن ضربك ولا جبنا منك »
نظر لي طويلاً ثم انفجر في البكاء . وهتف :

- « أنت لا تعرف كل شيء .. »
كان هذا كافياً لي كى آخرين .

طلب مني ألا أزوره . لا داعي لذلك . جو سطين تقوم بكل شيء
يريده وتطعمه وتغسل ثيابه .. لا داعي أن أفق . عرفت أنها رغبة
قدسية يجب أن أطيعها .

الآن تخبرني الععرضة السويدية السعيدة أنه عاد إلى الوحدة .

قلت لها :

- « سوف أذهب كى »

فجأة سمعت صوت طلقات بندقية آلية . هرعت بلا حذر إلى النافذة
وفتحتها فصاحت صاحب من الطابق السفلي : احترس .. إنه يطلق
الرصاص في الهواء ..

وكأنما هو تأكيد لكلامه اصطدمت طلقة بخصاص النافذة التي
فتحتها ، فارتعمت أرضا تحت النافذة ..

من باب الغير جاءت ممرضة مذعورة ... صاحت فيينا :

- « تواروا ! ... دكتور أنا تول قد جن !! »

أصابني الذهول فسألتها عن نوع الجنون . قالت :

- « يطلق الرصاص على الجميع .. معه بندقية آلية سرقها من
جندى »

آموك ! لحظة الجنون الفعلى الذى يجعل أحدهم يطلق
الرصاص على رفاقه فى العمل فى وقت واحد .. هناك قتل جماعى
وقتل لأشخاص متباعدين فى نفس الوقت Mass murder
لماذا يفعل هذا ؟ هل كان الضغط العصبي قويا
 بهذه الدرجة ؟

صوت الطلقات يدوى والمكان يرتج ..
شعرت بأننى منوم مقاطعيسيا ..

كان قد دخل غرفة الاتصالات .. وسمعت صوت طلقات . لابد أنه قتل الموظفين البائسين . رائحة البارود والدخان عبر الريهه . قلت لنفسي : من يقتلني ... أنا أقرب أصدقائه له .. إنه صديقى .. لن يقتل أبرياء آخرين . بدت لي فكرة جثى على الأرض غارقة في الدم وقد تحولت لبطاقة حاسوب مثقبة ، وبكون قاتل هذا هو هذا الطبيب الهادئ . بدت لي فكرة سخيفة غير معكنة الحدوث . شعرت بما يشعر به مدرب الأسود عندما يفر أسد الحبيب ويمزق الناس . عندها يدتو هو منه ، لأنه لا يتصور أن يمزقه الأسد صديقه هو بالذات . ما زلت أشعر أتنى كنت على حق .

هكذا دخلت إلى غرفة الاتصالات في تؤدة وحذر ، وبصوت حاولت جعله مهدئا قلت :

ـ « د. أنا نول .. أرجوك أن تثق بهذا السلاح : »

لسبب ما وجدتني أتكلم بصيغة رسمية برغم أنا صديقان جدا .. لم يقتلني كما توقعت .. فقط قال :

ـ « ابعد عنى يا دكتور عظيم .. لا أحب أن أرى جثتك »

لنفس الأسباب الغامضة يتكلم بهذه الصيغة الرسمية ، مع أنه

يناديني في العادة بـ (علاء) .

- «أنت لن تقتلني .. أعرف هذا .. لكنى كذلك أكره أن أرى جثتك
العمرقة»

صرخ أناتول :

- «أنا قد تجاوزت فرصة الخلاص .. انتهى أمرى .. لابد أننى قتلت
عشرة على الأقل بعد هذا الكلب ..»

ثم استند إلى الجدار وراح يبكي .. كانت البنديقية في وضع ممتاز
غير مصوبة لي ، وبعيدة عن يده نوعا . ربما لا توجد فرصة
أخرى ..

ووثبت على البنديقية محاولا سرقتها ، لكنه كان قويا ..

تمسك بها بعنف . وارتعدنا على الأرض .. كنت أحاول أن آخذها
منه دون أن يطلق الرصاص لكنه وجه لى لكمه قوية فسقطت على
ركبتي . هنا هوى بمؤخرة البنديقية على مؤخرة رأسى فكاد يوشمه
واللحظات غصت في الظلام ..

خرج يجري في الممر ، ثم سمعت صوت الطلقات تتهدر .. هذه المرة
هي طلقات واثقة مدربة ، تختلف عن طلقاته المترددة الخجول ..
هذه هي القوات المسلحة .. لا شئ في هذا ..

حاولت النهوض جاهداً . أنا منهك .. لا شك أن هذا هو ما بعد الارتجاج . سرف أفرغ معدتي حالاً أو أفقد وعيي ثانية . لكنني كنت قد خمنت ما حدث .. العبر كله تحول لدخان وبارود وصخب ..

لم أدرِ أنتي أيّكِ إلا عندما سمعت صوت أنيبني .
لقد تعرض أنا تول لضغط هائلة حتى يقتل زملاءه بهذا التوحش .
ولكن ما السبب ؟

لا أملك الجواب اليقين يا سيدى ، وأعتقد أن باقى الشهود يمكن أن يقدموا لكم معلومات أكثر . أنت تعرف قصة العميان مع الفيل وكيف قال بعضهم إنه خرطوم طويل وقال البعض إنه يشبه المروحة وقال البعض إنه منشأ وقال البعض إنه أربعة أعمدة . كلهم كانوا صادقين لكنك تحتاج لشخص مبصر كي يعطيك الصورة النهائية .

أعتقد أن من سوّج مع كل خيوط التحقيق قادر على أن يعطيك الجواب اليقين .

على فكرة أجريت الفحص الإشعاعي وتبين أنه لا كسور في ججمتي .. هذه أنباء طيبة وسط هذا السواد .

شهادة د. شارل ميجريه

(من صندوق الحفاظ على الأجناس المهددة)

المرض الزايرى .. *Le mal Zairois ..*

هذا هو الاسم الذى كان موبوتو الدكتاتور يطلقه على الفساد العقلى فى زاير - الكونغو قبل أن يغير اسمها - ويرغم هذا كان فى حاجة ماسة إلى هذا الفساد . حسب بعض التقارير ، هو قد اختلس من دخل البلاد خمسة مليارات دولار لنفسه ، ثم إنه كان محتاجا لإطعام كل أفواه الفاسدين من حوله وكل الجنرالات فى كاتانجا . أعتقد أنه لم ينس منظر لومومبا المفید المتوجه للرمى بالرصاص . لم يكن يريد أن ينتهى به الأمر كذلك . لابد من شراء ولاء هذه الكلاب المسعورة .

اعتقد موبوتو أنه تخلص من سيطرة الاستعمار ، عندما تخلص من اسم الكونغو الوارد فى كتب الجغرافيا الغربية ، واستبدل به اسم زاير . الحقيقة أن زاير نفسها تحريف برتغالي للفظة (نزير) أي النهر الذى يبتلع كل الأنهار . ليوبوندفيل صارت كينشاسا .. البرتغيل صارت كاليمى ..

لم تكن هذه هي المشكلة . استقلال أسماء وعلم جديد .. لكن فى النهاية تبقى حقيقة أن الاستعمار الغربى رحل ، ليبدأ استعمار

وطني .. ويعود الاستعمار الغربي في صورة احتكارات وشركات .
من تم يلعب اللعبة بقواعدها وجد نفس واقفا أمام طابور الإعدام كما
فعل لومومبا ..

رحل موبوتو عام 1997 عندما القلب عليه لوران كابيلا ، وعاد
للبلد اسم الكونغو من جديد ، لكن المشاكل مستمرة ..

لم يطالب أحد البنوك السويسرية بأموال موبوتو التي تهبتها ، وهكذا
بعد أعوام قضت المحاكم السويسرية بأحقية أسرة موبوتو في ملياراته
في العصارات السويسرية ..

كعادة أفريقيا تظل الحروب الأهلية لعنة دائمة ..

في هذه المنطقة كانت حروب التوتسى والهوتو دائمة الاشتغال .
زائير كانت تساند المتمردين الهوتو من رواندا ، وهكذا كانت في حالة
حرب دائمة مع رواندا وأوغندا ..

عام 2001 تم اغتيال لوران كابيلا ليأتى ابنه جوزيف كابيلا ..
ومسط هذه النزوف وكل هذا الفساد ، كان متوقعا أن تتدحر الحياة
البرية تماما ..

الناس كانوا يقتلون الغوريلا من أجل لحومها أو لبيبيوا أيديها
العبيرة كمطافة سجائر . الناس كانوا يصطادون الأسود وبدأت أرقام

الحيوانات البرية تهبط بشكل مروع . إنه الفقر والجوع ، دعك من أن كل حراس المحميات هجروا وظائفهم وانضموا للجندو .. هنا أجور عالية وحياة المغامرة ..

معظم أجناس الحيوانات في هذا البلد فاحش الثراء قد بدأت تدخل قائمة الأجناس المهددة .

أنا بليجي منخصص في الحياة البرية ، ولهذا الفرض أرسلتني اليونسكو إلى الكونغو عام 1999 ومعي فريق مهمته الحفاظ على الحياة البرية بالتنسيق مع الحكومة ، وقد قصدنا (جوما) لكون بداية العمليات ، لكننا لم نجد حكومة .. لم نجد شيئاً على الإطلاق ..

لا شيء سوى الجثث المعزقة مبتورة الأطراف والأكواخ المحترقة .. متوسط القتلى كان أربعين ألفاً كل شهر ، وقد قدر ضحايا التزاعات بعشرات الملايين إلى خمسة ملايين ١١

لا يمكن وسط كل هذه الدماء أن تقول إنك قلق على الغوريلا .. سوف يقتلونك ..

والمرأة التي جاءت من بعيد ترکض . هل كانت تعرف ما سيحدث ؟

في هذه الظروف المضطربة تعرفت على الطبيب الكونغولي أناطول جنوار. كان في العقد الرابع من عمره وقتها . لقد تطوع في هذه الظروف القاسية لأنّه يُعرف أنّ أهل بلده يموتون . كان أبوه محامياً شيوّعياً اعْنَقَ واختفى في عصر موبوتو .. كل الناس اختفوا في عصر موبوتو ..

هناك هنا تكمن في مسكننا بينما تدوى الانفجارات والطلقات .. ضمن صراع لا ينتهي بين التونسي والهوتو . لو كنت قد رأيت الفيلم الرابع (فندق رواندا - 2004) فأنّت تعرف عما أتكلم . لسبب ما يرفض الناس أن يوجد آخرون لا يبدون مثلهم ولا يذكرون مثلهم .. لابد من رفض الآخر .. الكاثوليك والبروتستانت المسلمين والمسيحيون .. السنة والشيعة .. التونسي والهوتو .. البيض والسود .. ولو تساوى الناس جميعاً لبدأت الحروب العرقية بين طوالي القامة وقصارها .. مستحيل أن تعرف التونسي من الهوتو .. وفي كل مرة يعتبر أحد الطرفين أن بوسعه بعض المجهد أن يبيّد الطرف الآخر . وهو شيء مستحيل ..

على العصوّم كان شرق الكونغو يشهد نزوحًا هائلاً للهوتو الغارين من رواندا ..

من وقت لآخر ترى عربة جيب يركبها جنود سود مسلحون يلوحون
لتا محبين في زهو القوة ، ثم ترى عربة أخرى قادمة من الاتجاه الآخر
ومن الواضح أنهم ذبحوا المجموعة الأولى . الكل فخور جداً بالسلاح
الذى يحمله . وما من أحد يدرك أنه يطلق الرصاص على نفسه ، وأن
المستفيد الوحيد من هذا الدم هو تجار السلاح .

كنت ترى القرى وقد تحولت إلى شعلة نار والدخان الأسود يتصاعد
للسماء ، بينما تحلق مروحيات سلاح الجو الكونغولي فتدفن رءوسنا
وسط الأعشاب ..

أنت تعرف أنك تتلقى طيلة الوقت لدغات ذبابة تنسى نفسك التي تتنقل
مرض القوم .. تعرف أن هناك مalaria وحمى صفراء و .. و لكن
يظل الخطر الأكبر هو الإنسان نفسه .. هو أخطر من أي فيروس أو
بكتيريا ...

كان أنا تول يقول لي وهو يبصق :

- « هل تتصور أننا ثانى أعلى دول العالم فى وفيات الرضع ! »

- « والدولة المحظوظة الأولى ؟ »

- « شناد طبعاً »

قلت له في صابر :

- « لابد أن تكون هناك دولة تمسك بالحظ »

قال في غيظ .

- « ليست دولة بهذا التراث الفاحش .. دولة تملك معظم يورانيوم وبيوكسيت العالم ، وفيها أغنى حياة بريئة على ظهر الأرض . لقد استولت دولتك بلجيكا على كل شيء لدينا ومنعتنا من استغلال ما بطيء »

فتضاحكا :

- « لا تنب لى .. ثق أنتى لو صرت رئيس وزراء بلجيكا ، فسوف أعيد لكم حقوقكم فورا »

كنا نتردد على القرية المجاورة كثيرا ، وقد العقدت صداقه بين أناتول وصبي في السابعة قام بخياطة جرح في ركبته . كان الصبي يائينا كثيرا في مسكننا ليطلب لنا العاء أو العوز .. وأحيانا كنا نلعب كرة القدم ، فأتفق أنا كحارس هرمي ، بينما يلعب هو وأناتول دورى المهاجمين .. اللعب مع الأفارقة شبه مستحيل ، لأن لياقتهم وسرعتهم مذهلة .

اسمه جيلداس . له ضحكة فاتحة تظهر أسنانه كلها .. لابد أن تقع في حبه ، وكان يتحدث باللغة السواحلية .. أناتول يجيد الفرنسية والسواحلية كما أن احتلاطه برجال الجيش قد علمه ذلك لينجلا . لا

تنس أن هناك 242 لغة في هذا البلد ! .. من أغرب الحقائق أن البلجيكيين كانوا يرغمون المواطنين على استعمال اللغات المحلية .. فلما رحلوا صارت الفرنسية هي اللغة الشائعة لدى الجميع !

قال لي أناطول وهو يقضى العوز :

- « يوماً ما سأتزوج فتاة طيبة ، ولسوف تعطيني طفلاً خفيف الدم مثل جيلاداس . لكن المشكلة هي أن تاريخي مع الأمن أسود .. سأصيب الصبي بعذري خلقيه من سوء السمعة الأمنية ، كما تنقل الأم الإيدز لطفلها ! »

ضحك كثيراً .. ورحا نراقب الدخان المتتصاعد في عنان السماء .

كان أناطول شاعراً وقد فرأ على مقاطع من الشعر الفرنسي الرديء الذي كتبه . لم أجرؤ على إخباره بأن هذا شعر ساذج ، لكن أناطول نفسه كان قصيدة بلا شك .. أبلغ من كل شعر قام بتأليفه .

قلت له إنني سأعود مع رجالى فلا شيء يمكن عمله هنا . من دون استقرار سياسي لا يمكن الكلام عن عدد الأسود والوعول ..

قال في هم :

- « وهل تتوقع استقراراً في أي مكان من أفريقيا ؟ »

- « ما أعرفه يقينا هو أنتي لن أقدم خدمة للأجناس المنقرضة لو
هلكت »

المرأة التي جاءت من بعيد تركض . هل كانت تعرف ؟

★ ★ ★

هناك تحت الخيام كان يضمد جراح بعض الجنود .. سمه طاقم
تمريض من الرجال ، لأن من الخطر أن تجلب أنسنة لغرين الضباع
هذا ...

الجندى يصرخ ويضرب أناتول بقبيضته . لكن هذا لا يتراجع ..
يواصل اعتصار الصديد من الجرح .

هنا ظهرت تلك المرأة العافية ممزقة الثياب .. كانت تصرخ فى
جنون وهي تركض كاشفة عن أسنانها التي ساقط معظمها بفعل نقص
الكالسيوم وسوء التغذية . الدم يتزلف من أنفها وواضح أنها تلتقت
علقة ساخنة كما أن هناك جرحاً قطعياً في صدرها ..

كانت تصرخ :

- « إنهم اقتحموا القرية ! . يقتلون الجميع ! »

هناك دائمًا قرية يتم اقتحامها وتحترق .. ويتم قتل أطفالها بالسجنة ،
حتى لا يكروا ويصيروا من الجنس المعادي ..

تبادلت وأنا تول نظرة واحدة ، ثم جرينا نحو القرية ونحن نسمع صوت إطلاق الرصاص . لن يؤذونا .. كل الجنود يعرفون أننا نساعدهم ونضد جراحهم ، وأنا مدربون لا نقاتل ..

كانت الأكواخ الحقيرة تشتعل .. ورأينا الجنث المتأثر .. بعضها مزقته طلقة وبعضها مزقه سكين .. ومن بعيد ترى الجنود ينجزون مهمتهم الخلاقة في قتل الأربعين ألف كونغولي لهذا الشهر .

صاح أنا تول وهو يتقدمني :
ـ « أين جيلداس ؟ »

كنت أتوقع إجابة شتيبة .. سوف نجده بالتأكيد لكنه لن يضحك ..
لن يتحرك ... سيكون كتلة لحم معزقة .

فجأة يبرز لنا الصبي من داخل كوخ مشتعل .. كان يصرخ مذعوراً
ومن خلفه كان جندي غليظ أسود أصلع الرأس يلوح بمسنونى بندقية
وهو يضحك كائفاً عن أسنان من عاج ..

لابد أن الجندي فتك بالأسرة كلها ..
صحت أنا بالفرنسية :

ـ « لا تخف يا جيلداس .. سوف تتفذك ! »

توقف أنا تول ومد ذراعيه جانبياً كأنه يتوازن على جذع شجرة ..

راح يقول شيئاً بلغة الينجا لا وهو يشير لي .. يمكن فهم القصة على كل حال : نحن صديقان .. أنا كونغولي وهو بلجيكي .. نحن نخدم الجرحى . لا تؤذ هذا الطفل يا أخي .. أرجوك ..

لحظة بدا أن الجندي بدأ يلين ..

احتضن النسيء إلى يطمه في شيء من الحنان . فهذا نفوتنا ..

الفارق لحظة بين طفل حي مذعور وبين جثة نفع حقوقها .. كان من المعken أن ينجو من ربع ثانية .

وتب أناتول على الأرض وزحف كالكتل نحو الصبي ، واحتضنه
لصدر .. معطفه الأبيض صار بلون الدم كله . فضحك الجندي ووجهه
ركلة لخصر الطبيب ليسقط أرضا .. ثم نظر لى ولؤج ياصبعه في
وجهه : يان .. كأنه يطبق الرصاص ..

رس عن ما ظهر الخود من كل مكان يضخون ولحقوا

بزميلهم . بعضهم كان يعيد ارتداء السروال مما يدل على أنهم لم يكونوا يمارسون القتل فحسب .

نظروا لنا وتجاهلونا فقد أدركوا أننا بلا خطر وأننا أطياط أو شيء من هذا القبيل .. فقط كان أناتول على الأرض يبكي كالمساء ..

عندما جاء المساء كان هناك ضوء باقٍ من اللهب .. لم تحرق الأكواخ كلها ، وجاء من بقى حيًّا ليُدفن أقاربه .. من الصعب أن تعرف الهُوَّتو من التوتسي .. بكاء وعويل ونطم خدين ..

فمنا يدفن الصبي تحت شجرة جوار القرية ، وعرفنا أنه كان ولد يكى فغرس أناتول صليبياً خشبياً صغيراً على قبره ..

لم يتكلم أناتول لمدة يومين بعدها ..

لا شك أن هذا المشهد قد أحدث ندبة هائلة في روحينا ، ودعني أوكد لك يا سيدى أنني لو وجدت بندقية لأفرغتها في ذلك الجندي ثم تلذذت برمي جثته ل الكلاب ..

أنا أفهم أن يولد العنف في نفس المرأة من مشاهد كهذه . لكن لا أفهم لماذا يقتلك المرأة ياصدقانيه وزملانه الأبراء ؟

إن في حياة أناتول لغزاً يا سيدى ..

والمرأة التي جاءت من بعيد تركض . هل كانت تعرف ؟

شهادة إيمانويل جوليمن (جار سيرين)

لا أعرف يا مسيدي إن كان لدى ما أقوله ..

أنا أكره أن يأخذ أحد شهادتي في هذه الأمور . حتى لو وعدتني بالحماية فانت لا تستطيع حماية شخص ثالث . لابد أن تغفو أو تخفل ، وعندها ينتقمون مني ..

ليس لدى الكثير مما يقال كما قلت لك ..

(سيرين دراش) كانت تعيش في هذا الحي مع أسرتها . أسرة فقيرة هي .. كلنا فقراء كما تعلم . كانت سيرين فتاة رقيقة تعمل معلمة في المدرسة الإبتدائية القريبة من هنا . كنت تراها عندما ينتهي اليوم وهي تخرج من المدرسة وقد ضمت دفترها إلى صدرها وأمسكت بيده طفلة سوداء صغيرة منكراة الشعر .. الطفلة تمسك بيده زميلتها .. وزميلتها تمسك بيده زميلتها . هكذا طابور طويل من الدجاج يمشي وراء سيرين .

تعبر الطريق ثم تقف على الرصيف تنتظر قدرم الأمهات لتأخذ كل واحدة دجاجتها .

لا أعرف إن كانت سيرين جميلة .. أحبهن بديبات بتوائب كل جزء منها في اتجاه ، وأأشعر مع هذا الطراز من الفتيات الناحلات أنهن مريضات أو مصابات بعاهة ما . لماذا تسمح امرأة بنفسها بالا تكون مكتنزة بدبنة ؟ ، لكن ما أستطيع قوله هو أن شباباً كثريين كانوا معجبين بها . ومنهم دوسكانيش بالطبع . طبقاً لهذا فلابد أنها حسناً وأنا حمار

ثم يصل د. أنا نول . إنه يعرف طريقه ..

هذه المدرسة التحيلة للحسناً ، والطيب الترسيم الذي يحمل بعض علامات (اللتريطي) القبيلى على خديه ، وهى عالمة محبيه عندنا كما نعلم . لابد أنه مفخراً قبيلته .. نحيل .. أسود .. له نظرة رقيقة حزينة .. يليس قبيصاً أبيض واسعاً قصيراً الأكمام يبقيه خارج البنطال . صحيح أن فارق انسن بيتهما كبير فعلاً ، لكن من الواضح أن هذا حب عابر للمسافات والستين ..

تشابك اليدان معاً ويعشى معها . ينظران للأرض ويتكلمان .

أنا رجل متقدم في العمر ، تعلمت أن الحياة يرمي من القذارة ولا يوجد أمل على الإطلاق ، لهذا كنت أحب هذا المشهد كثيراً . يسعدنى أن أرى الحمقى يعيشون حياتهم .. كما يحب الكبار أن يروا سذاجة الأطفال وهم يلهوون . إنها تتعشهم برغم كل شيء .

يوصلها لباب دارها ، حيث تجلس أمها العجوز سولونجا عن عتبة الدار تقطع الكسافا .

تتأكد من حولهما الدجاجات وتتصاير .. هندفها سيرين دفعاً رفيقاً بذاته . يحيى الأم العجوز ثم ينسحب في رشاقة ..

تلك قصة حب وليدة ..

تذكرنى كثيراً بزوجتى عندما كانت جميلة منذ ثلاثين عاماً ، وعندما كنت أتحل الأعذار لأذهب لها . لم تعش طويلاً .. قتلت بالرصاص فى إحدى العروب المستترة فى بلادها بلا توقف . وقد تركت أنا قرينتى وجنت إلى كينشاسا مع طفلى . العاصمة أكثـر منها تحدـ ما .. فى الريف يمكن أن يحدث أى شـ بلا شـهـود أو عـقـاب أو اهـتمـام من أحد

قصة حب أنا تول تذكـنى بهذا المـقـهدـ كثيرـاً . كنت قد وصلـتـ لـحقـيقـةـ لا شـكـ لـهـاـ . سـوـفـ يـفـتـرـقـانـ وـيـشـعـرـانـ بـالـتـعـاسـةـ .. كـلـ هـمـسـنـ العـبـ تـنـهـىـ لـهـذـهـ الطـرـيـقـةـ ..

لكن ما حدث كان فـاسـيـاـ يـفـوقـ ماـ تـوقـعـ ..

السيارة العسكرية التي توقفت ذات يوم وقدفوا منها شيئاً عند قمة الشارع . لم أدر ما هو لكن أطفال المدرسة ركبوا وأحاطوا بالشيء ثم تصاصيـواـ فـيـ رـعـبـ :

ـ « هذه الآنسة سيرين ! »

دارت السيارة دورة في المنطقة كأنها ترعب الجيران حتى لا يدخلوا ثم اندفعت وسط يركرة من أوحال المخارى فتطاير الرذاذ في كل مكان . وعندما ابتعدت أخيرا هر عنا نحو سيرين ..

كانت هناك على الأرض وسط الوحل ممزقة الثياب .. وقد تلطخ وجهها بالدم وامتلا بالكمات .. كانت القصبة واضحة . لكن لماذا ؟ لماذا فعل بها رجال الشرطة هذا ؟ الشرطة الكونغولية فاسدة لكنها لا تخطف المدرسات ..

كانت تبكي بلا توقف ..

هرعت مع جيرانى تحملها إلى دارها ، ورات أمها المشهد فأصابت بشيء من الخيال .. لم تعد قادرة على التعاون أو قول شيء .. تحولت إلى عجينة مذهولة ..

كانت الفتاة تردد بلا توقف :

ـ « أنا لن أرفض ثانية يا سيدى .. لا تؤذنى أرجوك ! »

ثم تصرخ وتصرخ :

ـ « السيد دوسكانىش 11 »

صار بوسعي أن أخمن ما حدث .. دوسكانىش في الموضوع .

راح امرأة تغسل وجه المعلمة الشابة من الدم ، وجاءت امرأة

آخرى تسقيها مزيجاً من اللبن والماء . وسترت إحداهن جسدها بعلاءة . ذهبت أنا أبحث عن طبيب يراها . بالطبع أعرف بيت د. أناتول لكنى لن أجليه هنا وإلا خُن .. لا أضمن رده فقط .

جاء طبيب أصلع الرأس يلهث من البدانة وفحصها . ثم قال إنها تعرضت لمعاملة عنيفة وحشية .. قام بخياطة جروحها وحقنها بمهدئ لقائم ، وإن قال إنها ستحتاج لوقت طويل كى تشفى من الصدمة .. الصبية ..

لا داعى للقول إننا تكفلنا بعلاجها ورعايتها أمها يا سيدى . لحن قرم هفراهم لكننا طبسو القلب

★ ★ ★

ما أقتضى هو مصير د. أناتول .

لقد اختفى من الصورة تماماً ، وعرفت أنه مختلف .. فيل كلام عن كونه مختلفاً .. لا أعرف مدى صحته ، لكن اختفاءه بعيداً عن سيرين كل هذا الوقت لا بدل إلا على أنه سجين أو مريض أو مقتول ..

مرث أيام . وبدا لي أن الفتاة لا تتحسن ..

ولدت تلك الليلة مع فرصن القسم ينحدر خلف نطاق البيوت ، وكان الصبية يلعنون وسط أكواخ القمامنة بينما الكلاب تتبادل النباح .

جلست أنا على عتبة الدار أدخن وأتذكر زوجتي .. كانت حياة طويلة
مرهقة من دونها ، ولعل فكرة أن موعد اللقاء قد اقترب تر_ticksنى ..

هنا رأيت ذلك الشباع قادماً من بعيد ..

كان يعرج قليلاً .. ويبعد أن يده لا تتحرك بسهولة ..

أدركت من مشيته وهبته الخارجية أنه د. أنا تول نفسه . كان قادماً
وهو يجر رجلاً ويجذب أخرى .. لم يكن في حال طيبة . تهضب وهرع
لألقاء ، فوجدت أن عينه شبه مغلقة شأن من تلقى لفحة قوية فيها ، كما
أن شفته السفلية مشقوقة لشطرين . قميصه معزق ..

يسهل أن تدرك أنه عوامل نفس المعاملة التي تلقتها سيرين ، لكنهم
أطلقوا سراحها أما هو فظل في ضيافتهم فترة . هذا الذي حول معصمه
حرق أقطاب كهربية فعلاً ..

كان ينجه لبيت سيرين فجربت مسرعاً أسد الطريق أمامه
وهدفت :

- « عودة طيبة يا دكتور .. لكن دعنى أخبرك أن آنسة سيرين
تعافي .. إن حالتها أفضل ... »

نظرنى وفي توحش قال :

- « تتعافى ؟

— «نعم .. أخذوها لفترة ثم أعادوها .. لا شيء .. هي صدمة
حسبية وخدمات .. لا أكثر ..»

— «خدمات؟»

— «لقد اعتنينا بها .. كل انجى اهتم بها .. نحن نتعامل كأسرة
واحدة هنا و ...»

— «أسرة؟»

ثم مد يده في جيبه في صدر قميصه فانتزع عليه التبغ .. أخرج
لخلافة رسها بين شفتيه فأشعلتها له بعود ثقاب ويد ترتجف . قال في
شروع والدخان يخرج من داخله كان حريقا في رنته

— «أنا لم أحد نداري بعد .. جئت لأراها على الفور .. لم أعرف ..
لم أعرف ..»

ثم ابتعد عنى متوجهها لدارها .. دق الباب فانفتح . طوح بخلافة التبغ
التي لم يسحب منها سوى نفسيين ، واندفع للداخل .. بعد قليل سمعت
صرخة مدوية ارتج لها الشارع :

— «دوسانيس ١١»

ثم انفتح الباب وخرج وهو يرتجف كان يبكي ...

قلت له إن الأمور تحت السيطرة وإن عليه أن يهدا قليلاً ، لكنه د
يصعب لي .. نظر لى بعينين لا تريان ، ثم إنه ابتعد متوجهًا لبيته .. رأيته
الشيطان في عينيه ، فأدركت أنه ذا هب لقتل .. سيفجلب سلاحًا بلا شدة
وليس بوسعه منعه ..

ما عرفته بعد ذلك هو أنه لم يفعل .. لم يجد العقل الكافي لذلك ..
لقد وجد داره محترقة وقد صارت رماداً .. أصيب يانهيار عصبي
ونقل إلى مستشفى مونكول في كينشاسا ..

بعد هذا لا أعرف عنه أي شيء .. أما عن موضوع الهجوم وإطلاق
الرصاص فبصراحة لا أقبل فكرة أن يفعل هذا .. لا أصدق .. هذا فtero
وديع كالآرانب ..

لابد أن الضغط العصبي قد أحرق كل منصهرات روحه ...
لابد أنه جنّ يا سيدى ...

شهادة كريست جولصي (صاحب متجر وجارد . أناتول)

أنا كنت هناك يا سيدى فى أكتوبر 1974 .. كنت فى الثالثة والعشرين من عمرى .. لا أجيد الحساب لهذا يمكنك أن تستنتج سنتى ..

كانت كينشاسا كلها ملتهبة بالحماسة ، لأن مباراة العصر كانت ستقام فيها . كانوا يطلقون على هذه المباراة اسم (هدير فى الغابة) .. ما زال قلبى يرتجف كلما سمعت أغنية (فى زاليد) التى تحكى عن هذه المباراة الرهيبة (*) .

سيد الملائكة وبطل العالم الذى لا يفهر محمد على كلائى . يواجه الديابة كاسحة القوة بطل العالم الجديد جورج فورمان ..

لقد هزم فورمان كلائى قبل هذا وصمم هذا الأخير على الانتقام .. كان اسم ذلك الإستاد (العشرون من مايو) وهو الذى صار اسمه (ناتا رافايل) بعد رحيل موبوتى ..

رباها .. كانت هذه مباراة القرن العشرين بحق !!

★ ★ ★

<https://www.youtube.com/watch?v=vvzbYwBy7D0bXE> *

و ابىث عن اسم الأغنية Zare In للطرب Johnny Wakelin

على .. يوماً يه ! ... على يوماً يه !!
 (اسحقة يا على ! .. اسحقة !)

* * *

ولدت المبارأة كفكرة .. عندما عرض منظم المبارأة خمسة ملايين دولار على كلاي وفورمان من أجل المواجهة . كان هذا العرض عرضنا على الهواء بلا سبولة مادية حقيقة .. او أنه كان يبيع وعودا ، لكن دكتاتور الكونغو موبوتو سيسوكو تحمس للفكرة ووعد بتمويلها بشرط أن تتم المبارأة على أرضه .

الرمز الواضح هنا هو أن هذين أفريقيان أمريكيان يتواجهان في قلب القارة الأم .. إنهم وسط قومهما برغم خلافاتهما ...

هذا صار عيداً أفريقياً كاملاً . تزامن هذا مع قدوم نخبة من المطربيين والفنانين منهم جيمس براون وبيبي بى كيلج وميريام ماكيا . جاءوا كلهم لتعيش البلاد أجواء شبيهة بالحلم .. أقيم حفل غنائى استمر ثلاثة أيام اسمه زانير 74 ..

لقد قضى الملاكمون فترة طويلة جداً من التدريب فى بلادنا . واضح إنهم كانوا يتأقلمان على طقسنا الحار . فيما بعد جرح فورمان فى

التدريب فتم تأجيل المبارأة إلى أكتوبر بعد ما كان سبتمبر موعدها . وكانت صورتها فى كل وسائل الإعلام وعلى كل الصحف ... لقد دعا العالم نفسه نمهرجان على أرضنا . مهرجان رياضى غنائى وراقص .

لكن الحقيقة التى كانوا يتجاهلونها هي أنهم إذ يعشون فى الاستاد مع موبوتو ، فقد كانت الأقبية تحت الاستاد تتعج سجناء الرأى الذين لن يروا النور ثانية أبداً . عندما كان جومس براون يقظى كانت تماسخ تهر زانير - الكونغو - تتناول وجبة العشاء من المعارضين .

★ ★ ★

على .. بومايه ! ... على بومايه !!

(اسحقة يا على ! .. اسحقة !)

★ ★ ★

كان فورمان مفتاظاً من حماسة الجماهير لعلى كلابي . وقد قال للصحافة أكثر من مرة :

- « لو كان التعصب بسبب الدين فأنا مسيحي مثلهم ، ولو كان التعصب بسبب اللون فأنا أكثر سواداً من كلابي ! »

لكن المسبب معروف .. إن الناس وقعوا في جانبية الشخصية الكاريزمية لكلابي ، وجعجعته وتقاخره الدائم .. لا أحد يفلت من سحر كلابي أبداً ، وبعد أعوام اعترف فورمان أنه لم يحب في حياته شخصاً

مثل كلاي .. إنه إنسان رائع قبل أن يكون ملاكنا .. ولعل فورمان كان صديقه الوحيد في أيامه الأخيرة التuese مع داع باركتسون .

منذ وصل كلاي للكونغو وهو لم يكف عن امتداح السود وتدليلهم ، وكان يقول في قمرة قيادة الطائرة :

- « هل ترى ؟ أفارقة يجيدون قيادة الطائرة .. كلهم هنا يجيدون الإنجليزية والفرنسية بالإضافة للغتهم القبلية الأصلية . بينما نحن الأميركيان لا نتكلم إلا الإنجليزية ونتكلمها خطأ ، ويرغم هذا نسخر من الأفارقة ! »

بدأت المبارزة في الرابعة صباحاً بتوقيت كينشاسا . هذا الموعد الغريب سببه أن هذا وقت المشاهدة المناسب للمشاهد الأميركي .

صر قوة كلاي هو مراوغته وخفته حركته التي ترهق خصمه .. إنه يحوم حول الخصم كالذبابة . ولو تلقى ضربة واحدة قوية من فورمان لكانت نهاية . كان فورمان هو الأقوى وهو الأكثر شباباً .. عشر سنوات بين الرجلين تلعب دوراً مهماً في الملاكمة ..

لكن كلاي استطاع أن يسيطر وأن يهزم فورمان بالضربة القاضية ويستعيد لقبه .. لقبه الذي سيظل معه إلى أن يهزم سبينكس ثم لاري هولمز .. ثم داع باركتسون الوبييل ..

أنا كنت هناك يا سيدى فى الإستاد فى أكتوبر 1974 .. كنت صغيراً عاشقاً للحياة ، وقد رأيت مباراًة جميلة بين رجلين قويين ، لكننا لم ننس للحظة أننا ونحن ننعم بالرياضة وبغاء جيمس براون ، كان الكونغو فى الخارج غابة كثيفة من الفقر والحروب الأهلية والاحتلالات .

هذا مخدر بسيط أراد به موبوتو أن يتومنا وينوم العالم ، وأعتقد أنه قد نجح ..

كان دكتور أتانول فى الثامنة من عمره وقتها ، ولا أعتقد أنه يذكر أى شيء . فقط فرحة الأطفال بمعاريف الملاكمه ، وكانت أمه قد فررت أن تعمل خادمة فى بيوت السادة الأثرياء بعد ما اختفى زوجها فى السجون .

كانت ذكرى جميلة ، وقد تركت علامه لدى كل مواطن كونغولى برغم أن هذا المهرجان كللنا الكثير جداً .

شهادة ويليام بيغيلى ريفوى (رجل شرطة)

دو سكانيس كان واسع النفوذ يا سيدى ..

هو نيس فردا فى الحكومة ، وليس ثريرا .. هو مجرد رجل شرطة مرتضى يتمتع بصلاحيات قوية ، ويفرض إتاوات على كل الباعة . عندما يطلب قضايا من العانجو أو سباتة موز من هذه البالعة أو تلك فهو لا تملك الرفض . عندما يقول إن متجرك مخالف فعليك أن تعد ما معك من فرانكات وتذهب له تسترضيه . هذا فساد بسيط لا يهدى أهان دولة فى رأىي .

أعمل فى المخفر فى هذا الحى ، وعملى متتنوع يتراوح بين أعمال الشرطة الحقيقية وضبط العجرمين ، وتنظيف المكان ومصح الأرضيات ، وطبخ الطعام وتعذيب السجناء . أفعل كل شىء .

أنا حضرت فجر اليوم الذى جلبوا فيه د. أنا تولى إلى هنا . كثيرون يعرفون الطبيب الذى يعمل فى وحدة طبية لا أذكر اسمها هنا . هو رجل طيب مهذب فلا اعتقاد أنه يشكل خطرا على أحد . كما أنه فقير لا يستقر أحدا .

انفتح الباب وقفوا به للداخل بين أربعة رجال شرطة أشداء . كان
حاليما يلبس ثياب النوم وعامة بدت لي هذه معاملة لا تليق بطيب ...
ألم تكن لكم زوجة مريضة عولجت عنده من قبل ؟

حاول أن يتكلم فتلقى صفعه .. حاول أن يتكلم فتلقى ركلة .. حاول
أن يتكلم فهو أخذهم على مؤخرة عنقه ..
اقتادوه إلى الغرفة الداخلية ، وبينما هم يمشون أطلق المساجين من
زنزانتهم يطلبون منه أن يتماسك . لا تعرف ما فعلت أيها الشيطان
التعص لكن يجب أن تتماسك فاللحظات التالية صعبة .

هناك أجلسوه إلى المقعد إياه وقideoه ..
الجدران رطبة متسخة وثمة فأر يركض ليتوارى . الراحلة تدل
على طفح فى دورة العيادة المجاورة .

من مكان ما ظهر دوسكانيش .. يمكنك أن ترى أن رأسه ما زال
مضمدا . وكان لا يكف عن اهتزاع أفراد الإسبرين بسبب الصداع .
كرشه يتراقص فى النور الخافت ويدخن .. يدخن فى استمتاع ليبدو
وخدعا .

كان يمشي في تؤدة وقد بدا عليه أنه لن يجهز على الطبيب بسرعة .
سوف يتذذ بكل لحظة بقتله فيها . مديده إلى السلك ليكتنل المصباح
فريباً من وجه الطبيب المرهق المذعور .

قال له :

- « مرحبا بك في جهنم يا دكتور .. سوف نمرح جداً لكن في
البداية يجب أن أوجه لك سؤالاً »

ثم مديده الخليطة ليرفع ذقنه لتتلاقى العينان ، وانسعت عيناه
المحيقان وترقص شاربيه وقال :

- « من ابن الله الذي ضربني من الخلف ؟ »

لم يرده الطبيب فوجه له دوسكانيش صفعة ..

- « من الذي ضربني من الخلف ؟ »

بدا واضحاً أن الطبيب لن يتكلم ، والضرب لن يتوقف .. لقد انهال
السؤال ألف مرة ..

- « من الذي ضربني من الخلف ؟ »

- « من الذي ضربني من الخلف ؟ »

- « من الذي ضربني من الخلف ؟ »

وفي كل مرة المزيد من الضرب .. المزيد من الركلات .. دلو ماء
السکب فوق رأس الطبيب
في النهاية وقد نفذ صبره أشار لي دوسكانيش كى أتصرف :
- « هلم »

دو سكانيش المسكين كذلك بدا مرهقاً وأحمرت عيناه من فرط السهر. في النهاية أطلق سبة وطلب أن تحضر الإفطار.. سوف نستريح قليلاً، قال للطبيب:

— «أنت لن تخرج من هنا حيًا.. عليك أن تتلو صلاتك» ثم تذكر فتال في اشمئزاز:

— « هو ليس مسيحيًا أصلًا . إنه يتنعى لديانة سيمون كيمانجو »

ونحن نتناول الطعام قال لنا دوسكانيش وهو يتحسس ضمادة رأسه إن الطبيب من أسرة مشاغبة أخلت بالأمن طيلة حياتها . أبوه كان شيوعيا وقد حارب موبوتو ، لكن الشرطة فيضت عليه واحتقى في المعتقل .. لابد أنه مات وأطعموا جثته للتعاسخ .

- « إن القدارة تنتقل عبر الأجيال .. »

- « كلهم جديرون بالحرق «

قال دوسكانيش إنه لا يفهم سبب الاعتداء عليه بشكل مباشر ، لكن كيف يمكن لهم هؤلاء القوم ؟ إنهم مجانيين .. موبوتو قد فهمهم جيدا . كان قومه من الكيجالى يأكلون لحوم أعدائهم ، وهو يعتقد أن هذا كان سلوكا قويا .

استمر التعذيب للطبيب فترة طويلة ، لكن آناتول كان صلبا .. كان يجمع بين الصلابة وفقدان الوعي ، وفي الحالين كنا نعجز عن انتزاع كلمات منه .. لابد أن لحظات فقدان الوعي كانت تمنحه إجازة محببة . عندما فتح عينيه بعد قليل ، دنا منه وجه دوسكانيش المخيف .. ونفث دخان التبغ في وجهه ثم قال :

- « أعرف طريقة لا تفشل في جعله يتكلم .. »

ثم دفن لفافة التبغ في معدم الطبيب وقال :

- « سيرين ! .. الفتاة ! »

ثم صاح فى رفاقه :

- « هلم ! .. إنها فى مدرسة الأطفال الآن ! .. سجلبها هنا ! سوف تستجوبها »

هذه طريقة لا تخيب . كانوا يقولون : فتش عن المرأة .. بمعنى أنها مسئولة عن أي خلاف أو سوء فهم ، لكن رجال الشرطة هنا يفتشون عن المرأة ، لأنها أداة ضغط لا تخيب .

هب الطبيب يحاول التحرر من قيوده ، وصرخ فى هستيريا :

- « لا شأن لها بهذا يا دوسكانيش ! ... أنا من تريده ! »

لكن دوسكانيش فظ غبى .. لقد وجه للفتى المقيد لكمـة قوية جعلته يغيب عن الوعى فورا . ربما لو لم يفعل لتكلم الطبيب .. لكن من قال إن القوة الغاشمة تتمتع بأى ذكاء ؟

أنا زميل دوسكانيش فى العمل ، لكن أعتقد أنه أكثر اندفاعا وقسوة منه بعراحل . إنه يتصرف كالثيران .

هكذا سقط رأس الطبيب على صدره ، بينما اندفع الجنود السود الغلاظ نحو السيارة وهم يضحكون . وسرعان ما تعلى هدير السيارة وهي تشق طريقها فى شوارع كينشاسا .

لم أحرف ما حدث بعد هذا لأن أحد الضباط استدعاني . أعتقد أنهم جلبوا الفتاة فعلاً . لابد أن التعذيب أنهك قوتها فكانت تهلك .. هكذا حملوها في السيارة وأنقوا بها في شارعها أمام جيرانها .

بعد هذا يا سيدى ...

حسن .. ما أعرفه هو أن اهتمام دوسكانيش قل بالطبيب أناطول ، فلم بعد التعذيب بذات الانتظام والقسوة ، لكن الطبيب كان قد انهار تماماً .. لم يعد يأكل أو يشرب ..

مرت أيام .. ثم أبلغت دوسكانيش أن الطبيب أناطول على وشك الموت .

طلب مني أن نذهب للتزئنة لنراه .. كان الطبيب هناك يرقد وسط مياه المجاري والفنار ، وقد تورمت عينه .. وكانت شفته السفلية ملتوية وأثار الحرق شملأ جسده .. الفنار تتواثب من حوله ..

رأينا أن عينيه شبه مفتوحتين ، لكنهما يبصرونان تماماً .. لابد أنه لا يقدر على خلقهما . إنه قد تحول إلى خرقه بالفعل . ركله دوسكانيش ونم يتحرك تقربياً ، قال دوسكانيش في الشعراز :

- « ألقوه في الشارع .. لم أعد أريد شيئاً منه .. لقد انتقمت بما

يكتفى »

هكذا حملنا الطبيب إلى السيارة وتركناه قرب السوق .. حيث التق
حوله الأطفال متدهشين .. يبدأ يتحرك وأدركت أنه قادر على الوقف
والعشى .. من ثم ابتعدنا .. عرفت فيما بعد أنه ذهب على الفور لبيت
فتاته ، ولم يتصور أتنا جرؤنا على ضربها ..
هذا هو ما أعرفه عن القصة يا سيدى .. لا توجد عندي تفاصيل

أخرى

taha

www.facebook.com/groups/mazara

شهادة د. علاء عبد العظيم

(طبیب فی وحدة سافاری 7)

د. أنا تول كان يحمل لي الكثير من الحب والتقدير ، ولهذا تصرفت بهذه الشجاعة المزعومة عندما راح يطلق الرصاص المجنون على زملاء الوحدة .. الأمر يشبه الأم التي ترى ابنها يقتل الناس فتدنو منه طالبة أن يتوقف ، لأنها لا تتصور أن يؤذيها ابنها ..

علاقتنا كانت قوية ، وقد قال لي مرازاً إنه يحب مصر والمصريين ، خاصة عندما عرف في مراهقته موقف عبد الناصر من لومومبا ، وكيف أرسلت مصر قوات حفظ للسلام من أجل وطنه ..

لكن العلاقة لم تكن سياسية فقط بالطبع ، بل كانت علاقة شخصية ، وقد قمت بزيارته في بيته الصغير الفقير عدة مرات ، وأعتقد أن الجiran عرفوني جيداً .

قصة اعتدائه على رجل الشرطة القوى دو سكانيس معروفة للجميع ، وأعتقد أنها قلت بحثاً .. كما أن سبب قتله له واضح تماماً ولا يحتاج للتفسير ...

كان لي أن أرى مشهد الاعتداء ، بل وان أكون طرفا فيه .. هذا اعتراف صغير ظللت أخترنه في صدري .

ما فهمته هو أن دوسكانيس كان معجبا بالمعلمة الرقيقة سيرين . أنا قد نشأت كمصري على أن اللون الأبيض هو الجمال بعينه . ولا سيما لو كانت العينان حضراوين . ثم توغلت في أفريقيا وتعلمت النكهة الخاصة للجمال الأسود .. السمراء ذات العينين الصاحرتين والعنق الطويل والرشاقة . لقد صار معيلاً أن أشبهها كل مرة بالغزال الوجل في الدغل . كانت لي قصة مع غزال مماثل في الناتال ، وكان اسمه أونوايا ..

ليمن هذا موضوع حديثا على كل حال . ما أردت قوله هو أن سيرين كانت نموذجاً مذهلاً للجمال الأسود الرقيق . كانت غزالاً .. أما دوسكانيس فكان بشقتيه الغليظتين وكرشه ونظراته الوفحة يذكرك بالضباع . الضباع تحب لحم الغزلان طبعاً .

كان يحوم حولها بلا توقف ، ولكم من مرة استوقفها وهي ذاهبة للمدرسة أو عائدة منها . يسألها أسئلة سخيفة أو يتحرش بها أو يهددها ..

يمكنك أن تراه بيدلته الرسمية يمشي والمسدس الغليظ يتدلى على ردهه ، مع تلك النظرة الأمنية الخطيرة على وجهه ، شأن شيوخ الخفر في الريف عندنا .. طاوس فبيح يت卜ختر ...

بشكل ما تذكرت هذه العلاقة عندما رأيت خالد صالح الرابع في دور (حاتم) في (هني فوضى) ، وقد كان دوسكانيش يشبه (حاتم) فعلاً من دون كاريزما الفنان الرابع ..

بالطبع أدرك - بحسه الضبعية - أن المدرسة الشابة مولعة بالطبيب الرقيق أناطور ، وبدأ واضحًا أنه يتوجه إلى تدميره في أقرب فرصة .. سوف يتلقى له تهمة ما ..

قلت لأناتور :

- « كن حذرا .. انتقام هزلاء يكون حذرا على الأرجح »
قال أناطور في تحدّ :

- « دعه يجرب ما يستطيع .. إنني أعالج معظم ضباط كينشاسا .. كلهم أصدقائي .. لن يجسر على أن يقذفني »

قلت لنفسي إنه يعرف ما يقول على الأرجح ..

لكن الأمور توفرت في ذلك اليوم الذي كنت متوجهًا فيه لداره ، لأمضى معه ساعة كما أفعل كثيراً منذ وصلت لكونشاسا .. إنه يعرقني

بالكثير عن ياده وتاريخه . صحيح أنه يتحدث من جانب واحد هو الجانب اليساري ، ويصبح كل شيء بلون السياسة .. لكن هذا يعود نشأته وسيرة أبيه القديمة .

كان انوقت يدنو من الليل وأنا أمر في حارة ضيقة قذرة قرب الدار ، فرأيت مشهداً غريباً .. للحظة خيل لي أن هذه لقطة من فيلم سينمائى ..

كانت سيرين هناك وكانت تصرخ ، بينما دو سكانيش يمسك بذراعها بغلظة ويكلمها بالسواحلية ..

طبعاً لا داعى للترجمة .. يقول لها : أنت لي .. أو : لا يعنىك الفرار .. إلخ وهي ترفض وتصرخ .

من مكان ما - كما يحدث في الأفلام الهندية - يبرز د. أتابول الذى فقد كل تحكم له في أعصابه . انقض كالصقر على دو سكانيش وغرس مخالبه في وجهه فتخلى عن الفتاة ..

بدا الأمر مثيراً للشفقة . كأنه طفل يحاول أن يؤذى وحيد القرن ... سرعان ما استطاع دو سكانيش أن يترعرعه من على وجهه ووجهه له نكمة ألقت به أرضًا

قال شيئاً بالسواحلية . يسهل فهم ما قال : « لقد تحملتك كثيراً أيها السفل » أو « سنعرف أن العبث مع دو سكانيش خطير » ...

صرخت سيرين من جديد وانطلقت هاربة نحو طرف الحارة الآخر - وهو تصرف جبان في رأيي - بينما راح دوسكانيش يوجه الركلات لخصر الطبيب الساقط في الأرض الموحلة المتسة ..

الرؤية ترداد صعوبة . لكنني استطعت بسهولة أن أرى ذلك الحجر على الأرض .. حجر ثقيل مدبب لو رفعته لاكتسب طاقة وضع ممتازة .. طاقة الوضع تحول لطاقة حركة بسهولة ... العجد للضعفاء الذين يفهمون قوانين العيكانكا .

النقطة الحجر ولم أتردد . لو ترددت لفتك به ...

فليذهب الحذر إلى الجحيم . من يدري ؟ لربما استطاع سفيرنا المصري في الكونغو أن يحررني من السجن بعد عشرة أعوام ..

انطلقت بسرعة ورفعت كلتا يدي و هوبي بالحجر على مؤخرة رأس دوسكانيش .. ولم أنظر لأعرف التأثير .. رفعته وهوبي من جديد .. سقط أرضا جوار الطبيب بلا كلمة واحدة .. هرعت أجنو جواره لأنتأكد من أنني لم أرتكب جريمة قتل ، فانتقض في غيبوبته وهوبي يقبضته الثقبة على فم فكسر سنتين .. ثم عاد لغيبوبته .. لم يقصد أن يضربني لكن التعامل معه يشبه التعامل مع خربت مخدر .

على .. يوماً يه .. على يوماً يه !!

(اسحقة يا على .. اسحقة !)

★ ★ ★

قال أنا تول وهو ينهض لاهثاً :

- « ما كان لك أن تتورط في هذا »

- « يا سلام !! .. كان على أن أقف وأراقبك وأنت تموت ثم أدعوك
وأنصرف . عن كل حال هو لا يعرف من هاجمه »

كان يتكلم وهو يتلمس أزرار متربدة دو سكانيس فاقد الوعي ..
ويفتحها بصبر .. ثم يفك حزامه ..

قلت له في دهشة :

- « ماذا تفعل ؟ »

- « أجليه بالغار !

وفي عزم وثقة راح ينزع الثياب عن رجل الشرطة حتى صار عارياً
تماماً .. كان هذا مجهوداً شائفاً خاصة مع ثقل وزن الرجل وقدارته ..
واضح أن انوغد لا يستخدم أبداً ، ثم راح الطبيب بعرض يقيد رجله
بعاً ، وقيد يديه خلف ظهره . ثم إنه حمل المسدس وألماه في الوحل
على بعد أمتار ..

ما زلت لا أفهم
قال أناقول :

ـ « سأتركه هنا ... وعندما ينفيق لن يجد مفرأ من التوابل كالضفدع
عاريا تماماً وسط المنطقة السكانية سيراه الأطفال ويضحكون
ويقذفونه بالحجارة .. والنسوة سيسكن عليه ماء الغسيل القدر ...
سوف يصرخ طالبا العون فيضحك الجميع .. سيبكي كالنساء من
القهر .. هو يستحق هذا الانتقام »

ـ لا أحب هذا .. لا أحبه أبداً .. لقد انتهى أمرنا يا أناقول ..
ـ سرعان ما رحنا نركض مبتعدين ..

ـ عندما وصلنا لدار أناقول سمح لنا بالدخول ، ثم أخرج طسناً
وراح يفصل وجهه من الوحل .. وقدم لنا كوب ماء لم أشربه طبعاً
لأنني لا أشرب في الكونغو سوى المياه المعدنية .. الدار قذرة جديرة
برجل عزب ، وجديرة برجل لا يكسب تقرينا ، لكنك تجد الكتب الطبية
والسياسية في كل مكان ..

ـ قلت له وأنا أرجف :

ـ « أنت سخرت من الغول .. سيكون انتقامه مخيفاً .. لن نعيش

- « بالعكس .. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لانقاص شره بعد ما ضربته أنت على مؤخرة رأسه . لقد صارت رحلة بلا رجعة »

- « لا أفهم .. جلف أنا تول وجهه بالمنشفة وقال :

- « سوف يجلله العار .. سوف يذبل بسرعة ولسوف يطلب أن ينقلوه لمنطقة أخرى .. الرجال الذين فقدوا كرامتهم لا ينتقمون .. ثم إنني سأطلب حماية بعض الضيابط من أصدقائي هنا .. لن يؤذيني »

كان يتكلّم بثقة وسيطرة مما جعلني أدرك أنه يخرف .. كل من يتكلّمون بهذه الثقة مخطئون دائمًا .. لا أعرف كيف وضع حساباته تلك .. ما أعرفه هو أن الضعيف الجريح يكون مرعوباً فائلاً .. لم أسمع قط عن ضيع جريح يخوض رأسه وينصرف في خجل ..

لم يعد لدى مزاج لإطالة السهرة فطلبت الانصراف . فقط طلبت منه بينما دوسكانيش ينزع أظفاره إلا يذكر أسمى .. فليحاول أن يصمد حتى تأتي لحظة افلال العينين ..

ضحك كثيراً وبدأ راضياً عن نفسه .. لم أعرف أنه سيختفي فجر اليوم التالي ..

عدت من بيت أناقول ونصلت العرور قرب الحارة التي عرى فيها دوسكانيش .. أدركت على الفور أن سيناريو أناقول قد تحقق .. كان هناك حشد من الناس والنساء والأطفال ، وثمة مناخ عامنة من السعادة والفرح . ويبدو أن البعض كان يمازح دوسكانيش بطريقة (الفقير المصرية) فيقول كلمة ثم يتبعها بوصف ساخر .. عجيب موضوع الإيماءات هذا . أوشك أن أسمع لفظة (ها) ..

في منتصف الدائرة كان العملاق الأسود مقيناً غارقاً في الوحل ، عارياً تماماً يحاول أن يكمش جسده ليقلل عريه فدر الإمكان . مشهد يثير الشفقة بالتأكيد ، لكن من الواضح أنهم جميعاً يكرهونه .. هناك شعانة واضحة في وفقتهم ..

وفي النهاية قرر رجلان أن ينهيا عذابه .. من مكان ما ظهرت مدية ومزقوا الثياب التي استعملت كقيود .. وألقى أحدهم بعلاءة عليه .. هنا الناس فقراء فلن تجد سروالاً إضافياً عند أحدهم للأسف .. لا سروال ولا حذاء ..

وسرعان ما ظهرت سيارة الشرطة .. طلبها أحدهم .

لدوا بالوحش العريج فيها ، وانطلقت بينما الناس يذفونها بالحجارة ، وقد تجرعوا جداً .. أخرج أحد الجنود قبضته مهدداً للناس وأطلق سبة بذينة .. كيف عرفت أنها بذينة ؟ هذا ملطفى مع تعيرات وجهه ..

عندما اختفت السيارة كنت أشعر أن السيناريو لن ينتهي بعد ..

شهادة آن ليراي

(مساعد مدير الوحدة)

نعرف يا سيدى أنتى بلجيكية ، ووجودى هنا نوع من التوازن ..
المدير كونغولى ومساعدته بلجيكية . الحق أتنا أحستا كبلجيكين
الكثير من التخريب فى هذا البلد ، وعاملناه بقسوة بالغة لدرجة تسببته
(الكونغو البلجيكى) . لكن لا نسب لى فى هذا .. ليس الخطأ خطئى .

لا انكر بذلك أن هذا يسبب الكثير من مصاعر الضفينة نحوى .
لا فارقى عندهم بين بلجيكى وأخر كاننى ابنة الملك ليوبولد شخصياً ،
وعندما أعقاب معرضة سوداء لأنها مهملة ، فإنهم يقولون : العيب
أنها سوداء .. يوم تحدث فتنة أو تمرد فإنتى من أوائل الرعوس التى
ستطرى .

هذا ليس موضوعنا على كل حال .

أردت قول إنتى كنت أحب د. أناتول فعلاً ، فهو شديد الذكاء والمرقى
كما أن حساميته لا شك فيها .

اما ما حدث وتلك العまさة التى كلفتنا العديد من الرعوس ، فلا
يوجد ما أقوله .. على قدر ما اعرفه فى كل حوارث الأموك -

أو إطلاق الرصاص العشوائى الجنوبي - فإن القاتل لا يحمل أى ضغينة ضد من يقتلهم ، بل هو لا يعرفهم أصلًا .

نعاذًا جنّ أنا نول ؟

لا أعرف .. يقولون إنه وقع تحت ضغوط قاسية .. لا يمكننى الحكم على ذلك .

منذ جاء للوحدة وهو يؤدى عمله جيدا . الكونغو بلاد فى حال مزرية من الاضطرابات العرقية والسياسية لذا يفشل أى مشروع صحي واسع الأجل لأن الحرب الأهلية تدمر هذا كله .

لهذا فشلنا فى القضاء على داء التهاب الملاриا . بل إن الحصبة هنا وباء قاتل يفتك بأعداد كبيرة ..

لهذا وجد أنا نول الكثير مما يقوم به .. لاحظت أنه يعمل بتزعة استشهادية واضحة كأنه يحارب .. وأدركت أنه يحرب بالفعل من أجل وطنه .. فقد عرف العدو الحقيقي بعد البلجيكيين ..

إن أعداءه منتشرون فى كل مكان .. صغار الحجم جدا .. تحتاج إلى مجهر حتى تراهم ..

قاتلون دالعا .. اسمعهم البكتيريا والفيروسات ..

كانت هناك مشكلة خطيرة حدثت ذات يوم ، وكان أنا تول طرقا ..
فيها ..

قلت لك إنه هادئ جداً أقرب للوداعة ، وأنا أخشى فعلًا هذا الطراز
من الناس .. الفجار لهم مرعب دائمًا ..

ما حدث هو أنه كان لدينا مريض يحمى .. أعتقد أنها التيفود . كان
رجلًا في الأربعين من عمره أصلع الرأس له شارب كث ، وكان شاحبًا
 بشدة ..

لم أره بالطبع لأن هذه مهنة الأطباء الأصغر .. عرفت فيما بعد أن
اسمه ليونيل ميشا .. مدرس وشاعر وثائر قديم . يبدو أنه من أسرة
اضطهدتها موبوتو ، ولهذا كانت العلاقة قوية بين أنا تول وبينه .

في ذلك اليوم جاءت الممرضات يستغثن بالمدبر : لأن رجال
الشرطة اقتحموا عنبر الحميات .. ماذا يريدون ؟ قالوا لي إنهم يريدون
امتحان مريض .

هرعت إلى العنبر وسط الزحام لأرى رجلى شرطة ورجلًا ثالثًا لن
أنساه أبدا .. كان ضخما كالغور بلا غليظا ، وواضح تماماً أنه فخور
بنقوذه وبدولته .. كان هذا هو دوسكانيش رجل الشرطة المهم الذي
فتك به أنا تول فيما بعد .. قبل نوبة الجنون التي جعلته يقتل الجميع ..

دو سكانيش كان هناك ويداه فى خاصرته .. تطل الشراسة من عينيه ، ويمكنك أن تدرك أنه فاسد .. قاسد تماما قبل أن يلتقط فمه .. كرمته يتذلى فوق الحزام والطبنجة تتكلى على رده .. لابد أنه يعيش على الرشوة ..

كان د. أناتول هناك ... وكان يقف فى تحفظ أمام سرير ليونيل .. سأله عما هناك فقال أناتول :

- « ب يريدون اعتقال هذا المريض ، وهو مريض عندي ولا أسمح ببنقله .. كما أن حاته خطرة »
قال دو سكانيش فى غلظة :

- « تكم هي الأوامر .. الأوامر هي الأوامر .. هذا الرجل خطير على الأمن والنظام »

نظرت لليونيل الشاحب الغارق فى العرق وهلاوس الحمى ، فلم يبدلى خطرا على قطة صغيرة .. قلت فى تهكم :

- « لا أعتقد أنه مرعب لهذا الحد .. »
قال أناتول فى ثبات :

- « أنا لا أعرف تعليماتك يا سيدى ولا أهتم بها .. ما أعرفه هو أن هذا المريض فى حالة خطرة ولن يتحرك من هنا »

ثم التقى لى :

- «أرجو أن تسجلى كلماته والساعة يا دكتورة .. سوف يخرج
وراءه جيش من المحامين .. سوف أبلغ كل الهيئات الحقوقية»

كانت هذه طريقة مستفزة لا شك أنها متزيدة دوسكانيش عذاناً
وتمسكاً برأيه .. التحدي يجعل الرجال يرتكبون أكثر الأمور جنوناً ،
وكان علىَّ أن أتكلم بصوت العقل .. طلبت من هؤلاء المسادة المتعجبين
أن يتبعونى لمكتبى ، فأصر دوسكانيش علىَّ أن يقف شرطى جوار
الفراش حتى لا يفر المريض .

فى مكتبى قدمت للرجلين البيرة المثلجة ، وقرأت أمر الاعتقال
الموجه ضد ليونيل .. أدركت من وجه دوسكانيش أنه سيرحب جداً
برشوة ، لكن لعاناً أقدم له رشوة؟ موقفى قانونى ، ثم إن المريض
لا يهمنى لدرجة أن أنفق عليه من مالى .. فقط هى مسألة مبادئ .

فى النهاية اتفقا على وضع حراسة على الغبار إلى أن يتحسن
الرجل ، وبعدها يمكن أن يأخذوه إلى السجن مباشرة ..

قلت لدكتور أنادول عندما جاء مكتبى :

- «هذا الدوسكانيش فاسد مغدور .. لا تحاول الصدام معه»

قال فى تهكم :

— « كل كينشاسا تعرف دوسكانيش .. إنه أفسد رجل شرطة في العالم ، ولا يجب أن نحمله على محمل الجد .. هذا الطراز من الناس يجب أن يعامل بصلابة .. تجدينه يتراجع فوراً كفأر »

سألته عن الطبيب المصري الجديد القادم من الكاميرون ، فقال انه لطيف . لا يهوى القراءة جداً بل هو مولع بكل ما هو يدوى ، لكنه

طلبت منه أن يعني به .. إنها فترة انتداب قصيرة بسبب قلة الأطباء عندنا .. سوف يعود للكاميرون فوراً ولسوف يخبرهم بأسرار أسرارنا .. يجب أن يحمل ذكرى طيبة عن تجربته هنا .

هذا هو اللقاء الوحيد الذي حضرته بين د. أناثال و دوسكانيس
يا ميدي .. لا أعتقد أنه يقدم مبرراً كافياً لأن يقتل الأول الثاني .. لا شك
أن الأمور تطورت بعد هذا لكن هذا كل ما لدى ..

الريما كان شخص آخر يمثل الإجابة ..

taha

شهادة كيشا ليونيل (ممرضة في وحدة سافارى)

أطفالى الخمسة فى البيت فى شرق كينشاسا بعضى بهم أمى
البعوز ..

سأحاول أن أحكى بسرعة يا سيدى ..

أنا أعمل فى عنبر العميات بوحدة سافارى 7 كما تعرف يا سيدى ،
وأحاول أن أؤدى عمل جيدا

عندما حضر الطبيب المصرى (علاء) قادما من الكاميرون ، بدا
لنا غامضا فى البداية ، وإن كنت لا انكر أنه وسيم وجذاب .. برغم
أنه ليس شابا فإن بعض الخصلات الشائبة فى شعره وملامح التضخم
تعطيه جاذبية لا يأس بها .

تعرفنا به معشر الممرضات فحدثنا عن زوجته الكندية الرفيقة التي
تنظره مع ابنته فى الكاميرون .. حدثنا عن وطنه مصر حيث
أبو الهول والأهرام كما كنا نراها فى كتب المدرسة ..
هنا ظهر د . أناندول ، وكان لطيفا مع الضيف الجديد ..

مع الوقت صارا صديقين لا يفتر قان .. فيللى ان أناطول يحب المصريين لأسباب سياسية قديمة، ولهذا أمضى أيامًا جميلة مع صديق مصرى جاءنا من ذ عامين ..

نحن نحب د. أناطول التشيط الرقيق الفقير ، ونعرف أنه يتعاطف معنا ، كما أنه يحب المرضى فعلا . لكنك ترى في عينيه حزناً مرهقاً غريباً .. هناك شرخ في ذكرياته وفي رؤيته للعالم .

أخبرتني الممرضات أنه غارق في حب مدرسة رقيقة اسمها سيرين ، وبيدو أنه يرافقها أثناء عودتها من المدرسة معظم الأيام .. هناك فارق سن كبير بالتأكيد .. هذا يدهشنى .

ما حدث هو أن إحدى الحالات المرضية جاءت للغبار .

كانت امرأة تدعى ميرادوم من محافظة ويلى العليا في الشرق .. وكانت قد بدأت تعانى تدهوراً في الوعي وفقدان القدرة على التركيز .. مع الوقت سقط رأسها على صدرها وهي تتناول الطعام ، فجعلتها أهلها من قريتها إلى كينشاسا .. نحن نرى هذا الموقف كثيرا .

فحص د. أناطول المرأة وتفحص حدقى عينيها بالکشاف .. بينما وقف د. علاء جواره وقد دس يديه في جيب المعطف ..

تنحصر د. أنا تول نتائج الأبحاث العاجلة التي تم الحصول عليها ،
ويمكن أننا واقفة بالطبع فسمعته يقول :

ـ « هناك أشياء مفروغ منها بالنسبة لنا . رأس يسقط على الصدر
أثناء الأكل .. خمول .. محافظتنا ويلى العليا والسفلى .. هناك يبلغ
معدل العدوى بعرض النوم ٦٥% .. الصحة العالمية تقول إن الوباء
يكون خطراً إذا زاد معدل العدوى عن ٣٠% ... لهذا يصير التشخيص
واضحاً قبل أن تفحص المسائل النخاعي الشوكى . برغم هذا لابد من
سحب عينة ، وفحص الدم بالختبار « WB-CATT »

ظل علاء يحك لحيته شأن من لا يروقه الكلام ..

طلب د. أنا تول أن يعودوا له أدوات التعقيم ليسحب عينة من المرأة ،
لكن علاء ظل يرمي نتائج الأبحاث .

بعد لحظات قال بصوت مبوج :

ـ « معدرة ... لكن لمن يأتي من خارج المشكلة نظرة تختلف عن
يأتي من داخلها بلا شك .. لا ترى هذا ؟ كل الأليلة تشير إلى أنه مرض
النوم بالنسبة لك وليس بالنسبة لى ... »

ابتسم أنا تول وتساءل :

- « وماذا تقصد ؟ »

- « بعض هذه التحاليل يشير إلى أن الكبد ليس على ما يرام .. »

- « ما زلت لا أفهم »

- « أقصد أن احتمال غيبوبة كبدية وارد .. ألا ترى هذا ؟ »

ضحك أناتول رقال وهو يشعر كميه تأهلا للعمل :

- « عندما تسمع الحواffer ، فإنك تفكر في الخيول لا الحمر الوحشية ..

لا تتسل هذه القاعدة . عندما تكون في بلد مرض النوم ، وتقابل امرأة

غليها النوم فإنك «

وهكذا دارت عجلة التشخيص ..

بعد ساعات كان الأمر واضحا .. لا توجد تربينوسوما في السائل

النخاعي ولا الدم ، والتحاليل المصلية سلبية ..

نظر أناتول لعلاء في عينيه .. وقال وهو يضع يده على كتفه :

- « غيبوبة كبدية ! ... لا أعرف بحق أي ساحر أنت ، لكنك تملك

قدرات التخمين مثل السحرة بالفعل .. «

قال د. علاء في تواضع :

- « لأنني فكرت خارج الصندوق للحظة .. في لحظة من حياتنا في

مصر كذا نفكر في أي شيء على ضوء البليهارسيا .. احتجنا لوقت طويل كي نتحرر «

- « لكننى لم أتحرر من عقدة مرض التوم بعد »

مع الوقت صار هذان صديقين لا يفترقان .. لقد ولد بينهما احترام عميق كما قلت .. من الجميل أن يلقى المرء صديقاً حقيقياً يحترمه ..
 هذا هو ما عندي يا سيدى .. لم يستجد شيء إلا لحظة الهجوم الجنوبي إياها ..

شهادة د. علاء عبد العظيم

(طبيب في وحدة سافاري 7)

كنت قد خرجت من تجربة قاسية حقاً في الكاميرون مع ساحرة أفاع .. شرح هذا بطول يا سيدى ، كما أنه س يجعل كلامى أقرب للهذيان ولن تصدق حرقاً منه .. العهم أنهم اندبونى للكونغو .. وحدة سافاري 7 ، وهي من أهم وحدات سافاري في أفريقيا كلها .

كنت ساخطاً خاصبها ، من تاحية لأننى تقدمت في العصر جداً ولم أعد أتحمل هذه المغامرات ، ثانية لأننى سأترك زوجتى وابنتى ، وثالثاً لأن اطبع على عن الكونغو سيني عامة .

في النهاية أرغمت نفسي على أن أنقاد للتيار ، وودعت رفاقى وزوجتى ..

كلما سافرت لبعض آخر خطط لى أننى لن أعود أبداً .. هذا متوقع فعلأ مع حظى العاشر الذى أوقعنى في شتى أنواع المشاكل . لكنى تذكرت أننى ذهبت لكنينا وذهبت لجنوب أفريقيا .. وتعاملت مع مشاكل لا حصر لها . واضح أننى أتعنم بتنوع فريد من الحظ الذى يعيقنى حياً ب رغم التحسن .

في النهاية وجدت نفسي في كينشاسا أركب سيارة من المطار
متوجهًا لوحدة سافاري ..

مكان جديد .. أصدقاء جدد .. مشاكل جديدة .. البعض يرى هذه
مزية ، والبعض يراها عيّنا ..

شعور بالغرابة قاسٌ عنيف ، ثم يزول مع الوقت .. ثم أعاد
الموجودين .. ثم أحبيهم .. ثم أبكي بحرارة لحظة الوداع وأنا أكتشف
أنني لن أرى (جايريل / لارا / الخ) مرة أخرى ..
صار هذا الروتين معتاداً .. بل صار مملاً ..

اجتاز المانق الأسود الذي أرسلاه لي بوابة الوحدة ..

وحدات سافاري تتشابه في أفريقيا كلها . الحديقة والعبانى
التي على شكل حرف [] .. هناك سيارات الوحدة التي تحمل شعار
الوجه الأفريقي الأسود . هناك تمثال مؤسس الوحدة يقف في
ثافورة وسط الحديقة . هناك رقعة خالية تقف بها طائرة الوحدة
العمودية .. هناك الستك المضلع الذي يحيط بالبنية . نفس التصميم ..
نفس المهندس ..

تشعر بالفورة كبيرة عندما ترى هذه السمات . الحق أن سافاري

صارت جزءاً مهماً من حياتي وشخصيتي . خلايى نفسها تغيرت بعد كل هذا انصر .

مثلاً هو الحال في جنوب أفريقيا . فإن العدير آرثر يرسين كونغولي أسود .. بينما تائب العدير شقراء ينجيكية من جنس المستعمرات . اسمها آن ليراي وهي بالتأكيد لا تحمل أي خلايا استعمارية . حفظت هذا النوع من التوازنات منذ زمن ..

وضعت حقيتي في الغرفة ، وهي غرفة مريحة حسنة التكيف لحسن الحظ . كل أجهزة التكيف في وحدات سافاري غير أفريقيا لا تعمل . صارت هذه قاعدة لكن الوحدة هنا استثناء ، وقد أقصمت على اثنى سارتدى ثيابى كلها وأكثار بعضاً ثم أشعل جهاز التكيف على أقصى طاقته . هذا نوع من الانتقام من قضاة الليل بالثياب الداخلية غارقاً في العرق تحت مروحة تحمل جهاز طرد أرواح .

أقول إننى وضعت حقيتي في غرفتى ، ووضعت المتبه الصغير وصورة زوجتى وابنتى على الكومود ، ثم ذهبت لمكتب العدير .

كان من الطراز الأسود الفخم العوحى بالأناقة والثقة . وله صوت (دونبى) غليظ عميق محبب . أحب هذا الصوت جداً . لما ليراي فكانت

جالسة على الأريكة تدخن وتراقب لقاعنا .. كانت في الخمسين من عمرها . لها وجه يوحى بعلاقة قديمة ، لكن الأيام قد جعلته فاسينا جافا ..

قال لي العذير :

- « سوف تحب العمل هنا يا دكتور علاء .. »

وقالت آن لبراي :

- « كيف حال د. بارنتبيه ؟ لم أره منذ زمن .. »

يُزداد بدانة وظعن في قصة حبه الملعوبة لخبيثة تغذية نقل أزواجها .. هذه هي أخباره فعلاً ، لكن لم أجسر طبعاً على أن أقول هذا فهزت رأسه بمعنى أنه بخير ورائع .

قال العذير :

- « تديكم دكتور آرثر شيلبي وهو رجل عبقري .. أعتقد أنك تشربت خبرات هؤلاء العباقة »

لا لم أشرب ..

لكنني قلت له إنني تشربت .. تشربت الكثير جداً لدرجة التشبع القائم . لو لم يُمسني أحدهم لرز العزم من جلدي ..

ـ « هذا جميل .. أنت ستكون بحاجة إلى كل هذا العلم ، لأننا سنجعلك في غير الحميات »

لا .. ليس الحميات .. لا تختار أي فرع يعتمد على كثرة القراءة .. لا تختار أي فرع يعتمد على الفكر المتعقل الهداف .. لا تتركانس مع مرضى مرهقين نائمين .. أريد حركة وغرفة جراحة ودما وصراخاً وممرضات يجرين ..

لكن السيف قد سبق العدل ، ولات حين مناص ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

سرعان ما وجلت نفسي في جدول المرور والعلاج بقسم الحميات ، ونعت ليلة نابغية هي أول ليلة في في البلاد ..

صحوت من اللوم متغطرس المزاج ، وذهبت للغير لأقابل د. أناقول . هذا هو لقائي الأول به . وقد حكى لي عن حياته كيتيم حتى صار طيباً وكيف كافحت أمه لتضمن له أن يتعلم . كانت تعمل خادمة وخمسة انتوفر نتفقات التعلم .

كان نحيلياً شديداً الحساسية ، وهو يمايلني في العمر أو أكبر قليلاً ، وقد بدا شعر فضي ينزو فوديه لكنه يتحمّه وقاراً وجاذبية بلا شك . ثم فضلت إلى أنه يشبه نومومبا فعلاً .. لا مزاج في هذا .. يشبه صور نومومبا التي كنا نراها على الطوابع المصرية في الماضي .

اعتقدت أن أقوم بجولة العرور معه ، وكان يعرف الكثير وقد تعلمت منه أشياء عديدة .

يعاني الكونغو من قائمة هائلة من الأوبئة ، لكن هناك الملاريا والإيدز وعرض النوم الوبييل والحمى انصفراء و - بالطبع - حمى الكونغو والقرم ، التي يمكن أن تدرك من اسمها أنها متواطنة هنا . عرفت كذلك أنه - أتاتول - شارك في إنقاذ القاتل إبان الحرب الأهلية .. هناك عشرات الحروب الأهلية بين الهنود والتونسي في هذه البقاع وهي لا تنتهي أبداً ... يبدو أنه رأى كوارث حقيقة ومجازر لا حصر لها .

ثم إنه يعاتي لزيارة في بيته ..

ذهبت معه هناك ، ففوجئت بمدى الفقر والقذارة والعدام الخدمات في تلك الأحياء التالية ، وقد بدا أن بعض الشوارع لم يرصف منذ عشرين عاماً .

تنقل أقدامنا فوق الحجارة التي ألقاها أحدهم على مياه المجاري الطافحة . صارت نوعاً من الجزر لكن المصيبة لو وقعت من فوق أحدها .

هنا أدركت لماذا يمضى معظم الوقت في وحدة سافارى .

يتقاضى أنا تول راتبًا معدّلاً لما اتقاضاه لكنه يرسل قسماً ضخماً منه لأسرتين موزتين في قريته ، ومن الواضح أن هذا لا يترك لديه أى هامش للثراء . أنا لست ثريًا لكن راتب سافارى لى وبرناتت يكفياناً لحياة كريمة في الوحدة نفسها ، ولدينا مدخلات لا يأس بها .. أما أنا تول فمن الواضح أنه لا يدخل مليماً ..

كان البيت ضيقاً مكوناً من غرفتين . هناك مطبخ صغير فيه موقد وبعض الأثاث . بينما الأثاث قديم وبسيط جدًا ، والجدران مشقة تساقط ملاطها يفعل البرطوية .. والحمام بلا جدران تحيط به .. أى أن المرحاض في الصالة على طريقة السجون ! ومن الواضح أنه يستحم بصب الماء على نفسه بالكورن واقفاً في طست كبير .

هناك تلفزيون صغير جدًا .. بحجم صفحة الجريدة لو طويتها لتصفيقين . وهناك حشد من الكتب العباسية والطبية . بعض الكتب مفتوح .. (آكيه .. سنوات الطفولة) للنجميري صاحب نوبل رول سوينكا . كتب ل السنغالى ليوبولد سنجور . هذا أفريقي فخور بأفريقته جداً .

أعد لي بعض الشاي . تعلمت منذ جئت للكونغو لا أشرب الماء
إلا في زجاجات . ولا أشرب أى مشروب غير ساخن . لا يام
بالشاي .

كان أناطور يمثل لي لغزا ..

هو بلا زوجة ولا ولد . ليس لديه طموحات معينة ونسمة يعيش
ويموت على نفس الموتيرة في وحدة سافاري ..

بالنسبة لي لدى زوجتي بيرنادت . ولدى ابنتي التي ساراها تكبر
يوماً بعد يوم ، مع احتمال لا يام به أن أرثق بأطفال آخرين .. لدى
طموحات علمية ودراسية ، ولدى وطني مصر الذي أحلم بأن أعود له
يوماً ما . مهما تجحت في حياتك فأنت تحمل مشاعر ابن القرية الذي
يعتني أن يعود لها ناجحاً مظفراً . لا قيمة للنجاح من دون هذه الخطوة
الأخيرة ، وهي نشوء لن تتحقق لو ظلت في الخارج للأبد .

لدى أمي وأهلى . لدى غرفتي وبيتي ...

اناطور لا يملك شيئاً من هذا ، فهو مقطوع من شجرة وهذا هو وطنه
فعلاً ، وهو حاصل على الزماله .. لا يوجد غد ، لأنه استناده فعلاً . لن
يصير ثريًا ، لأن وضعه هذا مستمر للأبد ما لم يزدد فقراً .

في حذر سأله عن بعض ما يدور في ذهني .. بالطبع لم أقل له إن حياتك مثل حياة الخافض لا مستقبل لها ولا جذوى .. ليس لهذا

الحمد ١١١

مد يده إلى ديوان شعر .. وفتح صفحة منه وقال :

« أيتها المرأة

مسى بيديك الشافيين الناصعين جيبي
في الأعلى نخلات تتماسن هامسة في النسمات العالية الليلية
حتى .. لا صوت لم رضعة تترنخ لوليد
فليحملنا الصمت المتناغم، ولنصحى إلى أغنيته
ولنسمع دمنا الداكن
ولنصحى إلى أفريقيا»^(*)
ثم تنهى وقال في شودة :

ـ « هذا شعر ليوبولد سنجور .. السنغالي العظيم »
وعاد يتلئ الشعر :
« لنصحى إلى أفريقيا

نبضات الأرض المحجوبة بضباب فراها المخفية

ثمة قمر سليم ينحدر نحو سرير البحر الساكن

ونعاس يلوى أعناق الفصحايات

ورواة يغطيهم طيف النوم كطفل تحمله أمه

تناثق قدمها الراقص ولسان الكورس

هذا وقت النجم الساهر

والليل الحال يتراءى مكتينا فوق روابي القيم

ومرتدياً جلباب حليب «

شعرت بقشعريرة . هذه كلمات ساحرة تدقاني نفلاً إلى عوالم نياوى
أفريقيا الساحرة ..

أنهى القراءة فوضع الديوان جانباً وقال كالحال

ـ « هذه هي أفريقيا .. والكونغو يعني أفريقيا .. لا أريد شيئاً ولا
أطالب بشيء .. فقط أريد أن أعني بهؤلاء البؤساء وأمنحهم علمي
وعمرى ووقتى . لقد عانوا كثيراً ويستحقون من يهتم بهم قليلاً . لعل
عدم زواجه قد جعل الأمور أسهل لأننى لست مطالباً بالكسب »

ثم اتجه إلى نافذة صغيرة ففتحها بصعوبة . ومنتها جاءت ضوضاء
الشارع والباعة وصخب الأطفال .

قال لي :

ـ « أعرف أنتى لن أعيش طويلاً .. سوف أصطدم بالسلطات يوماً ما ، ولن أتحمل هذا الصدام ... الأمر يشبه أن تقف أمام قطار متدفع ، سكون نهايتي مثل أبي »

هكذا ياسعا :

ـ « أبيك لم يقتل »

ـ « مع موبوتو ومع اختفائه كل هذه السنين يمكنك أن تقسم إنه في جوف تسامح ما . لقد رحل موبوتو لكن الكونغو سيبطل جائزه لا تتخل عنها الاحتكارات ولا يفارقها الفساد .. سيبطل الكونغو ينزف للأبد ، ومعنى هذا أن الصدام قادم »

كان يتكلم عن أمور عامة ..

لم يخطر لي أن الفساد سوف يمسه هو شخصياً ويؤذى قصة حبه .. وأن الضغوط سوف تترجم عليه إلى درجة الجنون .

هذا عالم قاسى .. عالم لم يخلق له الحاسون ذوق الجهاز العصبي الهش .. إنهم يحترقون بسرعة مثل المنصهر الذي كان في بيتنا . كلما

كان السلك رقيقاً رفيناً ذاب بسرعة مع تغيرات النوار . لابد من سلك سميك نوعاً ، لكن السلك السميك يهدد البيت كله بالاحتراق . لابد من هؤلاء المرهفين حتى لا يحترق عالمنا

لكنني لم أكن على علم بالمستقبل وقتها طبعاً .. فقط أرى طيباً أفريقياً ثائراً يشبه لومومبا جداً ...

قلت لنفسي وأنا أتظر له وهو يحذق خارج النافذة :
ـ « سوف تحدث أمور رهيبة هنا ... لكم أن تراهنوا على

هذا » .

تمت بحمد الله

taha

H.I.V. - ٢٧	١ - الوباء .
٢٨ - توركانا .	٢ - خاطفو الأحاسد .
٢٩ - حكاية نقب .	٣ - العريق .
٣٠ - قصاصات .	٤ - رقصة الموت .
٣١ - العادات .	٥ - تجربة محرمة .
٣٢ - تماماً جنت الأبقار !	٦ - أشياء تحدث ليلًا .
٣٣ - زولو .	٧ - الآن تراء .
٣٤ - حكايات من الناتال .	٨ - الكابوس -
٣٥ - رجال من رجال .	٩ - المصيلة .
٣٦ - هواء هاسد .	١٠ - العاشر .
٣٧ - رجل الرمال .	١١ - يوم ثارت الوحش .
٣٨ - الأخير .	١٢ - أرض الجنون .
NDE - ٢٩	١٣ - قسى تسى ١
٤٠ - عن الطيور تحكى .	١٤ - إنهم يعودون أحياءاً .
٤١ - سيد الجيتات .	١٥ - الرجل الذي لم يكن .
٤٢ - فسم ١	٩٩٩ - ١٢
٤٣ - إلى الشمال .	١٧ - دواء يقتل .
٤٤ - داء الأسد .	١٨ - عام الأفاعي .
٤٥ - الشخص الأرجوانية .	١٩ - الجمجمة .
٤٦ - المرقن السابع .	٢٠ - المرضن الأسود .
٤٧ - الوحدة ٧٣٦ .	٢١ - الماساي .
٤٨ - إنهم يكلّبون ..	٢٢ - الشعريقة .
٤٩ - السمار ..	٢٣ - الانتحار .
٥٠ - رقصة بوليسية .	٢٤ - الآن ترجموك الصمت .
٥١ - عودة ساحرة الأفاعي .	٢٥ - كليمونجاري .
	٢٦ - الخاتمة .

١ـ قصة لا تنتهي .
 ٢ـ حكايات من والاشيا .
 ٣ـ صقر .. صقر .. سبعة .
 ٤ـ إمبراطورية التنجوم .
 ٥ـ ذات مرة في القرب .
 ٦ـ خروي ورماح .
 ٧ـ ألعاب إثريقيه .
 ٨ـ مملكة المؤتون .
 ٩ـ الخافقون .
 ١٠ـ الأصم شكسبيرو .
 ١١ـ قلعة الأدغال .
 ١٢ـ بين عالميin .
 ١٣ـ رجل من كريبيون .
 ١٤ـ من بعد سوبرمان .
 ١٥ـ إعدام في البرج .
 ١٦ـ شيخ وشيطان .
 ١٧ـ اقتلوا بخطوه .
 ١٨ـ قوم ومن معه .
 ١٩ـ خمسة عذبوا .
 ٢٠ـ من عملها .
 ٢١ـ لا تدخلوا شرروود .
 ٢٢ـ قمة المستحدين .
 ٢٣ـ أرض .. قمر .. أرض .
 ٢٤ـ قلدخل التنين .
 ٢٥ـ من أجل طرداده .
 ٢٦ـ تهودة المحارب .
 ٢٧ـ آخر أيام الزرائح .
 ٢٨ـ ١٩١١ .
 ٢٩ـ الوحواد .
 ٣٠ـ شبهة .
 ٣١ـ سبعة أذهب .
 ٣٢ـ في مملكة الآخرين .

٢٢ـ أيام مع هاربيال .
 ٢٤ـ صرشن لا تستطيع رفضه .
 ٤٥ـ ما أمام الطبيعة .
 ٣٦ـ حب في أقصطين .
 ٣٧ـ طلاستة في حمالن .
 ٣٨ـ عيشان .
 ٣٩ـ سيديق جنجاميـش .
 ٤٠ـ أرشيف الفد .
 ٤١ـ ألعاب هارسية .
 ٤٢ـ العمال بعيته .
 ٤٣ـ أسطورـة ذهـر .
 ٤٤ـ شـنـهـ من حـشـ .
 ٤٥ـ تـشـنـ ١ .
 ٤٦ـ العالم الآخر .
 ٤٧ـ الساحر وآنا .
 ٤٨ـ الافـرـ .
 ٤٩ـ يوم شـرـقـ الأـسـطـولـ .
 ٥٠ـ هـنـ والأـلـاـ .
 ٥١ـ طـلـلـتـ الشـوـتـشـنـ .
 ٥٢ـ بـ ٤ـ .
 ٥٣ـ يـخـارـانـ .
 ٥٤ـ عـبـقـرـىـ آخرـ .
 ٥٥ـ الـمـيـادـونـ .
 ٥٦ـ ليـالـ عـرـبـيـةـ .
 ٥٧ـ قـصـةـ كـلـ لـلـهـ .
 ٥٨ـ الـيـحـلـ ذـاـ الـأـكـفـ وـجـهـ .
 ٥٩ـ هـنـ جـحـيمـ الـأـلـعـابـ .
 ٦٠ـ وـحـدـيـ منـ لـاـفـكـرـهـ .
 ٦١ـ منـ قـتـلـ الـإـمـپـاطـورـ ؟ .
 ٦٢ـ أحـلـامـ .
 ٦٣ـ وـعـدـ جـوـنـدـانـ .
 ٦٤ـ كـوـنـتـيـكـنـ .

دراة الطبيعة

روايات تعيس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

علم من هذه السلسلة ..

٦٧- أسطورة المقبرة .

٦٨- أسطورة أرض العطايا .

٦٩- أسطورة وقتل السوداء .

٧٠- أسطورة «المنتحف» الأسود .

٧١- أسطورة الشيء .

٧٢- أسطورة سندوق بندورا .

٧٣- أسطورة المحرّكين .

٧٤- أسطورتهم .

٧٥- أسطورة العلامات الدامية .

٧٦- أسطورة الرجال الذين لم يعودوا كذلك .

٧٧- أسطورة بيت الأشباح .

٧٨- أسطورة أرض الظلام .

٧٩- أسطورة قادي الفيلان .

٨٠- الحلقات المنتسية .

٨١- أسطورة القلائل .

٨٢- أسطورة الطولطم .

٨٣- أسطورة شيبة مخيقة .

٨٤- أسطورة آخرية الموت .

٨٥- أسطورة الخليل .

٨٦- أسطورة معرض الرعب .

٨٧- أسطورة الفتاة الزرقاء .

٨٨- أسطورة حاصل الضياء ج ١ .

٨٩- أسطورة حاصل الضياء ج ٢ .

٩٠- أسطورة الأساطير ج ١ .

٩١- أسطورة الأساطير ج ٢ .

٩٢- عدد خامن (٦) تالك العدائية .

٩٣- أسطورة الجنائم .

٩٤- أسطورة بعد منتصف الليل .

٩٥- أسطورتها .

٩٦- أسطورة رفعت .

٩٧- أسطورة أرض المغول .

٩٨- أسطورة الشاحبين .

٩٩- أسطورة دعاء راكبيOLA .

١٠٠- أسطورة القصيلة السادسة .

١٠١- أسطورة الذهيبة .

١٠٢- أسطورة التوسمين .

١٠٣- أسطورة الباب المغلق .

١٠٤- أسطورة فرانكتشتاين .

١٠٥- أسطورة الكلمات السبع .

١٠٦- أسطورة تختلف .

١٠٧- أسطورة رجل بيكن .

١٠٨- أسطورة بيت الآفاغين .

١٠٩- أسطورة طفل آخر .

١١٠- العتزل رقم (٣) .

١١١- المومياء .

١١٢- أسطورة المشيرة .

١١٣- على جانب النجوم .

١١٤- أسطورة الرقم المشئوم .

١١٥- أسطورة مملة .

١١٦- أسطورة النيبورة .

١١٧- أسطورة العراق .

١١٨- أسطورة (٩٩٩٤٦) .

١١٩- أسطورة ملك الذباب .

١٢٠- أسطورة مصاص الدماء .

١٢١- أسطورة النداءة .

١٢٢- أسطورة وحش البحيرة .

١٢٣- أسطورة أكل البشر .

١٢٤- أسطورة الموت الأحياء .

١٢٥- أسطورة رأس ميدوسا .

١٢٦- أسطورة حارس الكهف .

١٢٧- أسطورة أرضي آخر .

١٢٨- أسطورة لعنة الشرعون .

١٢٩- أسطورة حلقة الربع .

١٣٠- أسطورة الكاهن الأخير .

١٣١- أسطورة البيت .

١٣٢- أسطورة المذهب الأزرق .

١٣٣- أسطورة رجل الشارع .

١٣٤- أسطورة النبات .

١٣٥- أسطورة الناظاري .

١٣٦- أسطورة حسنان المقبرة .

١٣٧- أسطورة التربية .

١٣٨- أسطورة بور .

١٣٩- حكایات القاروٰت .

١٤٠- أسطورة عدو الشمن .

١٤١- أسطورة المبنقرور .

١٤٢- أسطورة دعوب المستنقعات .

١٤٣- أسطورة إيجيور .

١٤٤- أسطورة الجنرال العائد .

١٤٥- أسطورة المواجهة .

١٤٦- أسطورة لتنا .

١٤٧- أسطورة آخر الليل .

سافاري 52

معارف طيب شاپ يجده في يده جاري يعلم جدي



د. أحمد كمال الغزالي

أيام الكونغو

هي قصة تدور في الكونغو ، البلد الذي قرر الغرب أنه لا يمكن أن يتعم يثرواته أبداً .

قرر الغرب أن شرود الكونغو هي حق مشروع للبلجيكين . هذه قصة تتكلم عن الجنون الذي يدفعك لقتل زملائك ببابل من نار ، وتتحدث عن تومومبا وموبوقتو والأمراض التزفية .

يبدو الأمر مغفلاً لكنه سيتضح مع القراءة .

الكتيب السادس

الموت الأصفر

 www.tewyatmasreya.com

 facebook.com/tewyatmasreya

 لخط الساخن

١٩٣٥٠

